البيئة والمناخ

في التّرَاثين الجُغرَافيّ العَرَبيّ الإسلاميّ والفَلسَفيّ

أ.د. حسن مجيد العبيدي (*)

ملخص البحث:

يهـدف هـذا البحث إلى بيان ما قدمه الجُغرَافيّون العَرَب المُسـلِمون والفلاسـفة في مجال دراسـة البيئة والمناخ على وفق المنظـور الجُغرَافيّ في أزمنتهـم وعهودهم، وذلك من خلال تقسـيم أقاليم الأرض على سبعة أقاليم ودراسـة الأبعاد الجُغرَافيّة والبيئية لكل إقليم من هذا الأقاليـم وما يتضمنه مـدن ومواقع جُغرَافيّة وأنهار ومناخ معتدل أو متطرف في الحر والبرد، وأثـر ذلك كله في أخلاقهم وعاداتهم وألوانهم وأمزجهتـم ومواقفهم الأخلاقية والعقدّية وغير ذلك. إذ رجع الباحث إلى المَصَادِر الرّئيسـية في هذين المجالين (الجُغرَافيّ والفَلسَفيّ) وأفاد منهما في تقديم هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: بيئة، مناخ، تراث، جُغرَافيّة، فلسفة

(*)باحث مُتخصّص بالفلسفة الإسلامية.

المطلب الأول- مصادر دراسة البيئة[١] والمناخ:[٢]

يعدُّ القرآن الكريم مصدرًا رئيسًا من مصادر الفكر الجُغرَافيّ العَرَبيّ الإسلاميّ، لما احتوته سوره وآياتُه الكريمة من معلومات جُغرَافيّة عن الأمم البائدة والمدن السّالفة.

كما اهتم اللغويون العَرَب الأوائل بجزيرة العَرَب موطن الإسلام الأول، حتى شكلت هذه الاهتمامات المبكرة إرهاصات الفكر الجُغرَافيّ العَرَبيّ، ومن ذلك على سبيل المثال كتابي هشام مُحَمَّد الكلبي البُلدَان الكبير والبُلدَان الصّغير، وكتاب الأنواء للنضر بن شميل، وكتاب أسماء جبال تهامة ومكانها لعرام بن الأصبغ[٣].

تطورت بعد ذلك رؤية ومواقف العُلَمَاء والفلاسفة العَرَب المُسلِمين وغيرهم بالفكر الجُغرَافيّ (البيئة والمناخ وأقاليم[٤] الأرض)، إذ نبغ عدد كبير في هذا المجال حتى تم على أيديهم اكتمال هذا الفكر، يخبرنا بذلك كثيرٌ من الرّسائل والكتب التي صنفوها في هذا الفكر، وتضمنت معلوماتٍ جُغرَافيّة وإثنوغرافيّة[٥] وأنثروبولوجيّة وإيكولوجيّة وأخلاقيّة وسياسيّة قيِّمة، حتى أفاد منها علم الجُغرَافية الحديث والمعاصر، فضلًا عن كثير من الفلاسفة المُحدَثين والمُعاصِرين.

من أشهر هؤلاء الجُغرَافيّين والبُلدَانيّين[٦]

(١) على وفق تعريف الأمم المتحدة للبيئة البشرية، هي: رصد الموارد المادية والاجتماعية المتاحة في وقت ما وفي مكان ما، لإشباع حاجات الإنسان وتطلعاته، وعرفها البعض: هي الإطار الذي يعيش فيه الإنسان، ويحصل منه على مقومات حياته من غذاء ودواء وكساء ومأوى، ويمارس فيه علاقاته مع أقرانه من بني البشر. يُنظَر: موسوعة المصطلحات العلمية في الجغرافيا السّياسية والجيوبوليتيك، مُحَمَّد أحمَد السّامرائي، ص٥٣. أو هي المكان وما يحتويه من متغيرات تحيط بالكائن الحي الذي يعيش فيه ويتأثر ويؤثر فيه. يُنظَر: الجغرافيا الطّبية، آمال صالح الكعبي، ص٣٣. أو هي كُلّ ما يتعلق بالمُحيط الذي تعيش فيه النّباتات والكائنات الحية ومن ضمنها الإنسان، ولهذا تعدّ البيئة عبارة الحيز المكاني الذي يشتمل على العناصر الرّئيسية في حياة النّباتات والكائنات الحية كالطقس والتربة والهواء والماء والطاقة والضوء. يُنظَر: البيئة والإنسان، حسين طه نجم وزملاؤه، ص١١. وهناك علم خاص بالبيئة يسمى علم البيئة (الإيكولوجيا). (Oikos) الإغريقية، التي تعني البيت الذي يعيش فيه الإنسان متآلفًا ومتكيفًا مع بيئته المحلية.

(٢) المناخ: هو الأسس الحيوية للجغرافيا البشرية، من خلال المُحيط الهوائي الذي يتشكل في مجموعة حالات للجو فوق مكان معين في تعاقب متتال. أو هو الحالة المتوسطة للطقس في مكان معين، حدد عن طريق عدد من المتوسطات المتعلقة بالحرارة وبالمتساقطات وبالهواء. يُنظَر: معجم المصطلحات الجغرافية، بيار جورج، ص٧٩٣.

(٣) يُنظَر: الفكر الجغرافي، شاكر خصباك وزميله، ص٥٩-٦٠.

(٤) الإقليم: مساحة من الأرض يتم تحديدها على وفق معايير قياسية أظهرت تجانسها، لأنها تمتلك خاصية التّجاذب والالتئام التي جاءت من العلاقات المتطابقة ومن الظواهر المرتبطة مع بعضها البعض، وهنا يختلف الإقليم عن المنطقة Area التي تشير إلى جزء من الأرض، دون أن يشير إلى وجود تجانس بين أجزائها. يُنظَر: الفكر الجغرافي، عبد خليل فضيل وزميله، ص٣٠.

(٥) يعني هذا المفهوم بتعريف أصحابه علم تشكل شعوب العالم، وهي مشتقة من كلمتين يونانيتين، إحداهما: أثنوس ومعناها شعب، والأخرى: غرافيا وتعني وصف. يُنظَر: شعوب وثقافات، مجيد عارف، ص١٢-١٣.

(٦) البلدانيون العرب هم الكتاب اللذين ألفوا كتبًا تضم معلومات متنوعة جغرافية وبشرية واقتصادية وأحيانًا سياسية وفكرية يدونون ما شاهدوه في البلاد التي زاروها فحسب.

العَرَب المُسلِمين الذّين تحدثوا عن البيئة والمناخ وأثرهما في الإنسان، مُحَمَّد بن موسى الخوارزميّ (ت ٢٣٢ هـ/ ٨٥١ م) صَاحِب كِتابِ صورة الأرض من المدن والجبال والجزائر والأنهار، الذي استخرجه من كتاب الجُغرَافيّا لبطليموس، إذ خالف الخوارزمي بطليموس في عدد الأقاليم، إذ جعلها سبعة بعد أن كانت عند بطليموس واحدًا وعشرين إقليمًا[٧].

ومن العُلَمَاء العَرَب المُسلِمين الذّين كتبوا في البيئة والمناخ الجاحظُ، أبو عثمانَ عَمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ/٨٦٨ م)، صَاحِبُ كِتابِ الأمصار والبُلدَان، والوزير أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمَد الجيهانيّ (القرن الثّالث الهِجريّ، التّاسع المِيلَاديّ)، الذي ألف كتابًا في صِفَة العالم وأخباره وما فيه من العجائب والمدن والأمصار والأمم ومساكنهم، واليعقوبيّ أحمَد بن أبي يعقوب (ت ٢٨٤ هـ/ ٨٩٧ م)، صَاحِبُ كِتابِ البُلدَان، وابن الفقيه (ت ٢٩٠ هـ/ ٩٠٣ م) صَاحِبُ كِتابِ البُلدَان، وابن خرداذبة أبي القاسم (ت ٣٠٠ هـ/ ٩١٢ م)، صَاحِبُ كِتابِ المسالك والممالك، وابن فضلان بن العباس بن راشد (ت ٣١٠ هـ/ ٩٢٢ م)، صاحب رحلة ابن فضلان، وابن رستة أبي عَليّ أحمَد (ت ٣١٠هـ/٩٢٣ م) صَاحِبُ كِتابِ الأعلاق النّفيسة، وابن أبي عون، إبراهيم بن مُحَمَّد (ت ٣٢٢ هـ/ ٩٣٤ م)، صَاحِبُ كِتابِ (النواحي والبُلدَان) المترجم بالنواحي والآفاق والأخبار عن البُلدَان[٨]، والاصطخريّ (عاش في النّصف الأول من القرن الرّابع الهِجريّ)، صَاحِبُ كِتابِ مسالك الممالك، وسهراب صَاحِبُ كِتابِ الأقاليم السّبعة حتى نهاية العمارة، والمَسعُوديّ، أبو الحَسَن عَليّ (ت ٣٤٦ هـ/ ٩٥٧ م) صَاحِب كُتبِ مروج الذّهب ومعادن الجوهر، والتنبيه والاشراف، وأخبار الزّمان، التي ضَمَّنَها جميعًا معلومات جُغرَافيّة من منظور فَلسَفيّ أنثروبولوجيّ إثنوغرافيّ قلَّ نظيرها، وأبو زيد السّيرافيّ (عاش في النّصف الأول من القرن الرّابع الهِجريّ/ العاشر المِيلَاديّ)، صَاحِبُ كِتابِ أخبار الهند والصين، والكاتب الخوارزميّ، أبو عبد الله مُحَمَّد، صَاحِبُ كِتابِ مفاتيح العلوم، الذي خصَّص البابَ السَّادِس من كتابه هذا للحديث عن الجُغرَافية وأقاليم الأرض[٩]، وابنُ حوقل (ت ٣٦٧ هـ/ ٩٨٨ م) صَاحِبُ كِتابِ صورة الأرض، وإخوان الصّفا وخلان الوفا، في رسائلهم الفَلسَفيّة، ولاسيما رسالة في الجُغرَافيا، والمقدسيّ، شمس الدّين أبو عبد الله (ت ٣٩٠ هـ/ ١٠٠٠ م) صَاحِبُ كِتابِ أحسن التّقاسيم في معرفة أحوال الأقاليم، والبَيرُونِيّ أبو الرّيحان (ت ٤٤٠ هـ/١٠٤٨ م) صاحب كتب السّند والهند، وتحقيق ما للهند من

(٧) يقول المَسعُودِيّ: إنّ الأقاليم التي ذكرها بطليموس سبعة وليست (٢١) إقليمًا كما ذكرها الخوارزمي، ويبدو لي أن المَسعُودِيّ قد اجتهد في هذا، ولكل مجتهد نصيب.، يُنظَر: مروج الذهب، ج١، ص٧٣.

(٨) الوزير الجيهانيّ، وابن أبي عون، ذكرهما المَسعُودِيّ في كتابه التّنبيه والإشراف، ص٨١-٨٢. وللمزيد عن أبن أبي عون، يراجع: كتاب الأجوبة المُسكِتة.

(٩) يُنظَر: كتاب مفاتيح العلوم.

مقولة، والقانون المَسعُوديّ[10]، وناصر خسرو (ت ٤٥٣ هـ/ ١٠٦١ م)، صاحب رحلة ناصر خسرو، والبكريّ أبو عبيد عبد الله (ت٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤م)، صاحب كتب المَسالك والمَمَالك، ومُعجَم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، والشريف الإدريسيّ (ت ٥٦٠هـ/ ١١٦٦ م) صَاحِبُ كِتابِ نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الذي رسم خريطة تقريبية للكرة الأرضية، والغرناطيّ، أبو حامد الأندلسي (ت ٥٦٥ هـ/ ١١٦٥ م)، صَاحِبُ كِتابِ تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، وأسامة بن منقذ (ت ٥٨٤هـ/ ١١٨٨ م) صَاحِبُ كِتابِ الاعتبار، وابن جُبير، أبو الحسن مُحَمَّد (ت ٦١٢ هـ/ ١٢١٧م)، صاحب رحلة ابن جبير، وياقوت الحَمَويّ (ت٦٢٧ هـ/١٢٢٩م)، صَاحِبُ كِتابِ مُعجَم البُلدَان، وعبد اللطيف البَغدَاديّ (ت ٦٢٩هـ)، صَاحِبُ كِتابِ الإفادة والاعتبار، وأبو الحَسَن عَليّ بن سعيد (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٧٤م)، صَاحِبُ كِتابِ الجُغرَافيا، والقزوينيّ، جمال الدّين أبو يحيى (ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م)، صَاحِبُ كِتابِ أخبار البلاد وآثار العباد، وشمس الدّين الدّمشقي (ت ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م)، صَاحِبُ كِتابِ نخبة الدّهر في عجائب البر والبحر، وأبو الفدا، عماد الدّين الملك المؤيد (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م))، صَاحِبُ كِتابِ تقويم البُلدَان، وصفي الدّين عبد المؤمن الشّهير بابنِ عبد الحقّ (ت ٧٣٩هـ/ ١٣٤٠م) صاحِبُ موسوعةِ مراصدِ الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، وابن بطّوطة، مُحَمَّد بن عبد الله (ت ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م) صَاحِبُ كِتابِ رحلة ابن بطّوطة حول الأرض التي ضَمّها في كتابه تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، وابن سعيد المغربيّ صَاحِبُ كِتابِ بسط الأرض في الطّول والعرض، وابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٦م) صَاحِبُ كِتابِ تاريخ ابن خلدون لاسيّما المُقَدِّمَة، التي ضَمَّنَها تفصيلاتٍ جُغرَافيّة ممتازة عن الأرض وأقاليمِها السّبعة، والقَلقشَنديّ، شهاب الدّين (ت ٨١٢ هـ/١٤١٨م)، صَاحِبُ كِتابِ صبح الأعشى في صناعة الإنشا، والمَقريزيّ (ت ٨٤٥هـ/١٤٥٢م)، صَاحِبُ كِتابِ الخطط، إذ تحدث أيضًا في كتابه هذا عن جُغرَافيّة الأرض وأقاليمها السّبعة المعروفة، الذي سنعتمده كثيرًا في إيراد المعلومات الجُغرَافيّة عن البيئة والمناخ والأقاليم، والحِميريّ، مُحَمَّد بن عبد المُنعم (ت٩٠٠ هـ/١٥٠٨م)، صاحب مُعجَم الرّوض المعطار من خبر الأقطار[11].

ولم يقف الأمر عند هؤلاء العُلَمَاء العَرَب المُسلِمين الذّين كتبوا في الفكر الجُغرَافيّ فحسب، بل نجد منهم من ألَّف كتابًا خاصًّا بعلم الجُغرَافية، منهم:

(١٠) يُنظَر: علم الاجتماع ومدارسه، مصطفى الخشّاب، ص١٣١-١٣٢. ولمعرفة المزيد عن البَيرُونِيّ الجُغرافيّ، يُنظَر: أبو الرّيحان البَيرُونِيّ، حياته ومؤلفاته، عَليّ أحمَد الشّحّات.

(١١) يُنظَر: كتابات مضيئة في التّراث الجغرافي العربي، شاكر خصباك، المرجع في الحضارة العربية الإسلامية، إبراهيم الكروي وزميله، ص ٢٧٧ وما بعدها، أوربا في كتب البلدانيين العرب المسلمين، الجزء الأول. عبد الرّحمن رشك المياح، جهود العرب المسلمين في علم الجغرافيا. عبد الجبار ناجي، الرّحالة المسلمون في العصور الوسطى، زكي مُحَمَّد حسن.

أبو الحسن عَليّ بن موسى بن سعيد المغربي صَاحِبُ كِتابِ الجُغرَافيّا، وأبي عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر الزّهري، صَاحِبُ كِتابِ الجعرافية (بالعين المهملة والتي تعني الخريطة)[١٢].

أما الفلاسفة العَرَب المُسلِمون، فقد أدلوا بدلائهم في هذا المجال، إذ بحثوا وكتبوا في الجُغرَافية والمناخ والبيئة، عدة كتب ورسائل، وهنا يفيدنا ابنُ النّديم في كتابه الفهرست، وابن أبي أصيبعة في كتابه عيون الأنباء في طبقات الأطباء، والقفطيّ في أخبار العُلَمَاء، أن في قائمة مُؤَلّفات الفَيلَسُوف الكِنديّ، أبي يوسف يعقوب بن إسحاق، أكثر من عشر رسائلَ في الجُغرَافيا، حُقِّق وطُبعَ منها رسالةٌ في العِلّة التي بها بعضُ المواضع لا تكادُ تُمطر، ورسالة في عِلّةِ كونِ الضّباب، كما يذكر المَسعُوديّ أنّ للكنديّ رسالة في رسم المعمورة من الأرض[١٣]، كما توجد له رسائلُ أخرى سنتطرق إليها لاحقًا.

كذلك صنَّف تلامذة الفَيلَسُوف الكِندي أيضًا كتبًا في علم الجُغرَافيّة، منهم: أحمَد بن الطّيب السّرخسيّ (ت٢٨٦ هـ/٨٩٩م)، الذي ألّفَ في الجُغرَافيا كتبًا منها: كتابُ المسالك والممالك، وكتابُ منفعة الجبال، وكتابٌ في كَونِ الضّباب، وكتابٌ في أحداثِ الجوّ. أما تلميذُ الفَيلَسُوفِ الكِنديّ الآخر أبو زيد البَلخيّ (ت٣٢٢هـ/٩٣٢م)، فقد صَنَّفَ كتابَ صورة الأقاليم.

كما كتب الفَيلَسُوف والمهندس والمُترجِم ثابتُ بن قُرّة الحَرّانيّ (ت ٢٨٨هـ/٩٠١م) كتابين في علم الجُغرَافيا، هما: في جَوامع المَسكونة، وسببُ كونِ الجِبال. وكتبَ العالمُ المعروف مُحَمَّد بن جابر البتّانيّ كتاب (الزّيج الصّابي) إذ تضمّنَ معلوماتٍ جُغرَافيّة مهمة[١٤].

كذلك صَنَّفَ إخوان الصّفا الذّين يعدّون ضمن الفلاسفةِ العَرَب المُسلِمين (في القرن الرّابع الهِجريّ/ العاشر المِيلَاديّ)، رسائلَهم الفَلسَفيّةَ، التي تضمّنتْ معلوماتٍ رياضيّةً وفلكيّةً وجُغرَافيّةً مُفصّلة عن أقاليمِ الأرض السّبعة، ولاسيّما الرّسالة الرّابعة (في الجُغرَافيا)، إذ درسوا فيها صِفَة الأقاليم وما المسكون منها وصفته، وفي خواص الأقاليم. ومن جهتِهِ اهتمّ الفَيلَسُوفُ الموسوعيّ الكبير ابن سينا (ت٤٢٨هـ/١١٣٧م)، في بعض مُؤَلّفاته الفَلسَفيّة بالحديث عن أثر المناخ والبيئة في الإنسان، ومنها: موسوعته الشّفاء، لاسيّما الإلهيّات والآثار العلويّة وعلم الهيئة، فضلًا عن تناوله لهذا الموضوع في كتابه القانون في الطّب.

ومثل ذلك فعل فلاسفة المَغرِب العَرَبيّ ومنهم: الفَيلَسُوف ابن طفيل (ت٥٨٠هـ/١١٨٠م) في قصة حيّ بن يقظان، الذي ناقش موضوعَ الأقاليم وأثرَ البيئة والمناخ في الإنسان، والفَيلَسُوف ابن رشد (ت٥٩٥هـ/١١٩٨م)، الذي تحدَّثَ في كتبه ومنها: الآثار العلوية، الذي تضمن معلومات جُغرَافيّة مهمة، عارضًا لها، ومناقشًا الآراء

(١٢) حقَّقَ هذا الكتاب مُحَمَّد حاج صادق، بور سعيد.

(١٣) يُنظَر:، التّنبيه والإشراف، المَسعُودِيّ، مَصدَرٌ سَبَقَ ذكرهُ، ص٤٠.

(١٤) يُنظَر: من أعلام العرب في القرن الرّابع الهجري، أحمَد عبد الباقي السّامرائي، ص١٩٣-١٩٤. إذ يذكر المصادر التي تناولت هذا الموضوع بالتفصيل. ويقارن: الفهرست، ابن النّديم، ص٣٦٠ وما بعدها.

المطروحة حـول المناخ والتُّربـة والهواء وأثرها في الإنســان، وكتاب تلخيص السّياسة الذي حدد فيه مزايـا وطباع وأخلاق أهـل كُلّ إقليم، وكتاب الكليات في الطّب.

المطلـب الثّانـي- الفكـر الجُغرَافـيّ العَرَبيّ الإسـلاميّ (طبيعتـه وماهيتـه): لا شـك أنّ عُلَمَاء الجُغرَافية العَرَب المُسـلِمين أيام الحضارة العَرَبيّة الإسلاميّة، قد وجهوا عنايتهم بحثًا ودرسًا نحو البيئة والمناخ والكرة الأرضيّة وتقسـيماتها علـى أقاليـم، إذ جاء هـذا الاهتمام بعـد أن نقلوا إلـى العَرَبيّة كتاب (جُغرَافيـة لبطليموس)، الذي لَخَّصَـه فيمـا بعد المَسـعُوديّ في كتابـه مُروج الذّهـب ومعـادن الجوهـر، في صفحـات طوال، وهنـا سـنعرض لهذا الكتـاب على وفـق ما قاله الأخير. ((تحـدث بطليموس في كتابـه جُغرَافيا عن صِفَـة الأرض ومدنِها وجبالِهـا، وما فيها من البحار والجزائر والأنهار والعيون، ووصف المدن المسـكونة والمواضع العامرة، وأنّ عددها أربعة آلاف وخمسـمائة وثلاثـون مدينـة فـي عصره، وسـماها مدينة مدينة في إقليـم إقليم. وذكر هذا (الفَيلَسُـوف؟) أن عددَ البحار المُحيطة بالأرض خمسـة أبحر، وذكر ما فيها من الجزائر والعامر منها وغيـر العامر، وذكر أن في البحر الحبشـي جزائـر متصلـة نحوًا مـن ألف جزيـرة يقال لها الدّبيحات، عامرة كلها.

كمـا ذكـر بطليمـوس في هـذا الكتـاب عدد الأنهار الكبـار الجارية في الأقاليم السّـبعة على دوام الأوقات مائتان وتسـعون نهـرًا، وكُلّ إقليم سعته الجُغرَافيّة (تسعمائة فرسخ[١٥] في مثلها)، وفي البحار ما معمـور بالحيوان، ومنها ما ليس بمعمـور، وهـو أوقيانـوس البَحـر المُحيـط (= المُحيط الأطلسـي). وأن قُطرَ الأرض ألفانِ ومائة فرسـخ، يكـون الصّحيح علـى وفق المَسـعُوديّ (ستة ألاف وستمائة فرسـخ)،.....، وعدد الأفلاك تسعة، أولُها وأصغرُها وأقربُها إلى الأرض القمر. والثاني عطاردُ، والثالث الزّهرة، والرّابع الشّمس، والخامس المريخ، والسَّـادِس المشتري، والسَّابِع زحل، والثّامن للكواكب الثّابتة، والتّاسـع للبروج، وهيئة هذه الأفلاك هيئة (الأكر) بعضها في جوف بعض، ففلك البروج يسمى الفلك الكلي، وبه يكون الليل والنهار، لأنه يدير الشّـمس والقمر وسـائرَ الكواكـبِ من المَشـرِق إلى المَغرِب فـي كُلّ يوم وليلـةٍ دورةً واحدة، على قطبيـن ثابتين: أحدُهما مِمَّا يلي الشّـمال وهو قطب بنـات نعش، والآخر مِمَّا يلي الجنوب وهو قطب سُهيل، وليس البُروج غير الفلك، وإنما هي مواضع لقبت بهذه الأسـماء لتعرف مواضع الكواكب من الفلك الكليّ. والخطّ القاطـع للكرةِ نِصفَيـن، الآخذ من المَشـرِق إلى المغرب، يسـمى دائرة مُعدّل النّهار، لأنَّ الشّمس إذا صارت عليها اسـتوى الليلُ والنّهار في جميع البُلدَان، فما كان مـن الفلك آخذًا من الجنوب إلى الشّـمال يسمى العَرْض، وما كان آخذًا من الشّرق إلـى الغرب يسـمى الطّـول، والأفلاك مسـتديرة

(١٥) الفرسـخ على وفق الحسـاب الرّياضي اليوم يساوي ثلاثة أميال، أي ٤٨٢٧ متر.

مُحيطة بالعالم، وهي تدور على مركز الأرض[١٦]، والأرض في وسطها مثل النّقطة في وسط الدّائرة، وهي تسعة أفلاك؛ فأقربها من الأرض فلك القمر، وفوقه فلك عطارد، وفوق ذلك فلك الزّهرة، ثم فلك الشّمس، والشمس متوسطة الأفلاك السّبعة، وفوقها وفوقها فلك المريخ، وفوقه فلك المشتري، وفوق ذلك فلك زحل، وفي كُلّ فلك من هذه الأفلاك السّبعة كوكب واحد فقط، وفوق فلك زحل الفلك الثّامن، الذي فيه البروج الإثنا عشر، وسائر الكواكب في الفلك الثّامن، والفلك التّاسع وهو أرفع وأعظم جسمًا، وهو الفلك الأعظم[١٧]، يحيط بالأفلاك الذي دونه مِمَّا سمينا وبالطبائع الأربعة (= الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة)، وليس فيه كوكب، ودوره من المَشرِق إلى المَغرِب في كُلّ يوم دورة واحدة تامة، ويدير بدورانه ما تحته من الأفلاك المتقدم وصفها.

وأما الأفلاك السّبعة التي قدمنا ذكرها، فإنّها تدورُ من المَغرِب إلى المَشرِق،...، والكواكبُ المرئيّة (المرتبة) التي نشاهدها وسائر الكواكب، في الفلك الثّامن، وهو يدور على قطبين غير قطبي الفلكِ الأعظم المتقدّم ذكره،...، وحدُّ الفلك عندهم أنّه نهاية لما تصير إليه الطّبائع علوًا وسفلًا. وزعم بطليموس صَاحِبُ كِتابِ المَجسطيّ أن إستدارة الأرض كلها، جبالها وبحارها أربعة وعشرون ألف ميل (٣,٨,٨٥٦,٠٠٠ م)، وأن قطرها وهو عرضها وعمقها سبعة آلاف وستمائة وستة وثلاثون ميلا[١٨].

يقول المَسعُوديّ من جهته: إنه قد تنازعت طوائف الفلكيين وأصحاب النّجوم في المحورين اللذين يعتمد عليهما الفلك في دوره أساكنان، هما أم متحركان؟ فذهب الأكثر منهم إلى أنهما غير مُتحرّكين، وقد أتينا على ما يلزم كُلّ فريقٍ منهم في بيان هذين المحورين: أمن جنس الأفلاك هما أم من غير ذلك، فيما سلف من كتبنا[١٩].

كذلك اطلع العُلَمَاء والفلكيون والجُغرَافيّون والفلاسفةُ العَرَبُ المُسلِمون على كتاب أبقراط الطّبيب اليوناني المعروف، الموسوم الأهوية والأمواه والبُلدَان (= الهواء والماء والمساكن)، الذي نقله أولًا إلى السّريانية حنينُ بن إسحاق (٢٦٠ هـ/٨٧٣ م)، ونقله من بعده إلى العَرَبيّة حبيش الأعسم[٢٠]، إذ يعدّ كتاب أبقراطَ هذا من

(١٦) هذه هي نظرية مركزية الأرض وكرويتها التي نادى بها بطليموس وتبناها فيما بعد كُلّ من جاء من بعده من الفلكيين والجغرافيين والفلاسفة ومنهم العرب المسلمون، ودافعوا عنها حتى زمن كوبرنيكس. والمَسعُودِيّ هنا يعرضها بكفاءة عالية ويؤمن بها ولا يعترض عليها.

(١٧) يلاحظ أن نظرية بطليموس هذه قد وجدت لها صدىً كبيرًا عند الفيلسوف الفارابي عندما صاغ نظريته الميتافيزيقية في الصّدور أو الفيض، ومثلُه فَعَلَ فيما بعد كُلّ الفلاسفة الفيضيّين في الفلسفة الإسلاميّة ومنهم ابن سينا ومسكويه. كما أن أفلوطينَ الفيلسوفَ المِصريّ (ت٢٧٠ م) قد تبنّى هذه النّظريّة التي طرحَهَا بطليموسُ من قبلُ. وهنا مجالٌ للبحثِ والدّرس بأطروحة جامعية عن أثر الجغرافية الفلكية في رأي بعض الفلاسفة اليونانيين المتأخرين والفلاسفة المسلمين المتقدمين والمتأخرين.

(١٨) يُنظَر: مروج الذهب، ج١، ص٧٢-٧٤.

(١٩) المَصدَرُ نَفسُهُ، ج١، ص٧٥.

(٢٠) تاريخ العُلَمَاء بتاريخ الحكماء، جمال الدّين القفطي، ص٩٨.

روائع المُؤَلّفاتِ الجُغرَافيّة والطبّية في مجاله[٢١]، ولربما حتى يومنا هذا لما فيه من مقاربةٍ مع العلم الحديث في هذا الموضوع.

عالج أبقراط في هذا الكتاب علاقة البيئة والمناخ بالإنسان، مبينًا تأثيرهما المباشر في أخلاق النّاس وطباعهم وألوانهم ناهيك عن أنظمة الحكم، أو ما يطلق عليه اليوم بالجُغرَافية السّياسيّة والطبيّة والأنثربولوجيّة، إذ عقد في هذا المجال مقارنة بين شعوب الشّرق (الأسيويّة) والغرب (الأوربيّة)، بنص طويل، نقتبسه لأهميته. يقول أبقراط: ((أريد بالمقارنة بين آسيا وأوربّا أن أبيّن كيف أن كلتيهما تخالفُ الأخرى في كُلّ شيء، وأنّه ليس بين الأمم التي تقطن كلتيهما أيّة مشابَهة في البنية، وقد يكون من التزام ما لا يلزم تعداد جميع الفروق، بل اكتفي بأكثرِها أهميّة، وأشدّها بروزًا للعِيان، لأعرض رأيي الذي ارتأيتُه في ذلك، فأقول: إنَّ آسيا تختلف عن أوربا اختلافًا عظيمًا، بطبيعة حاصلاتها جميعًا، سواء فيها ما تُخرج الأرض، وما يَخرج من ظهور النّاس الذّين يزرعونها، فكل ما يتولّد في آسيا يَفضُل ما يتولّدُ في أوربا فضلًا كبيرًا، في الجَمال وفي بسطةِ الجسم، مناخها (جَوَها) أكثر اعتدالًا، وأممُها أدمثُ أخلاقًا وأسهلُ قيادًا، والعلّة في ذلك هو التّوازن التّام بين الفصول،...، وأما النّاس فيها فنموُّهم عظيم، يمتازون عن الأجناس الأخرى بجَمال صورهم وفضل قامتهم، ولا يختلف بعضهم عن بعض في الرّواء ولا في الصّورة، ويمكن أن يقال: إنّ مثل هذه الجهة بينها وبين الرّبيع نسب يكاد يكون متصلًا، بالنظر لتأليف فصول السّنة ولطف آثارها، ولكن، لا شجاعة الرّجولة، ولا مصابرة المَشاقّ، ولا إجهاد النّفس في العمل، ولا شدّة البأس، كُلّ هذه الصّفات لا تنمو في مثل هذه الطّبيعة، سواء فيه الوطنيون والمستوطنون،...، أما من جهة ضِعة النّفس وعدم الشّجاعة فإن الآسيويين أقلُّ ميلًا للحرب وأكثر سلامًا في الطّبع من الأوربيين، وعلة ذلك إنما هي على الخصوص في حال إقليمهم، حيث لا توجد تقلبات شديدة لا في الحرّ ولا في البرد، بل قليلًا ما يشعرُ بتغيّر المناخ، وحيث لا يعتري العقل صدمات، ولا يعرو الجسمَ تغيّرات، وتلك انفعالات (= تغيرات البيئة والمناخ؛ من حيث الحرارة والبرودة) من شأنها أن تكسب الخُلقَ وحشةً، وتمزجَ به ميلًا للجُماح والعِصيان، أكثر مِمَّا تفعل الحالةُ المناخيّة دائمة التّماثل (= حر على الدّوام أو برد على الدّوام)، إلا أنّ التّغيرات من النّقيض إلى النّقيض، هي التي تنبه العقل الإنساني وتمنعه من أن ينام في ظلال السّكون))[٢٢].

(٢١) يُنظَر: مختصر تاريخ الطّب العربي، كمال السّامرائي، ج١، ص١١٥، حنين بن إسحاق، العصر الذهبي للترجمة، ماهر عبد القادر، ص١١٠. ومن الجدير بالتنويه أن كتاب أبقراط هذا قد حققه ونشره شبلي شميل، القاهرة ١٨٨٥.

(٢٢) نقلًا عن: مقدمة بارتلمي سانتهلير لكتاب أرسطوطاليس: الكون والفساد، ترجمة أحمَد لطفي السّيد، ص٧٦-٧٧، ويقارن: دراسات في الاجتماع، عبد الفتاح إبراهيم، ص١٦١-١٦٣. ويُنظَر: الشّرح الكبير لمقولات أرسطو، لأبي الفرج بن الطّيب البَغدَادي، تحقيق عَليّ حسين الجابري وجماعته، ص١٧. إذ يشير ابن الطّيب لرأي أبقراط في الجغرافية المناخية، وكيف أفاد كُلّ من أرسطو وابن الطّيب البَغدَاديّ من ملاحظة أبقراط، إذ أفادَ هذا الأخير من جهته من شرح كتاب المقولات لأرسطو، استنادًا لمعطًى جغرافي مناخي يقر بأثر البيئة والمناخ في حالتي البرودة والحرارة في إنتاج الفكر والفلسفة.

إنّ نـصّ أبقراط هذا على أهميته وموازنته بين أخلاق وشـيم وعادات الآسـيويين بإزاء الأوربيين وانتصاره لليونانيّين أبناء جلدته في هذا الجانب، لم تجعـل الجُغرَافيّين العَرَب والبُلدَانيين يكتفون بمـا ذكره أبقـراط، فضـلًا عن نـصّ بطليموس السّـالف الذّكر فـي الجُغرَافية، بـل أضافوا إليه كثيرًا من خلال مُمارسات عملية وزيارات ميدانية لأقاليم الأرض التي تحدّث عنها أبقراط من قبل.

المطلب الثّالث- بيئةُ أقاليمِ الأرض ومناخُها فـي الفكرَيـن الجُغرَافـيّ العَرَبيّ الإسـلاميّ والفَلسَـفيّ: قُسّـمت الأرض في هذا الفكر ومن قبلـه اليوناني على نصفيـن، النّصف الأول- يقع تحت خط الإسـتواء وهذا النّصف لا يمكن السّكنُ فيـه لأنّه مغمور بمـاء المُحيطـات والبحار، وأما النّصـف الثّانـي فهو شـمال خط الإسـتواء، فيه أرض يابسـةٌ وجزائـر فـي البحـار، وفيـه رَبعٌ مسـكون. قسـم المسـكون علـى سـبعة أقاليم، متسـاوية في العرض مختلفة في الطّول، فالأول أطول مِمَّا بعده، وكـذا الثّاني إلى آخرها، فيكون السَّـابِع أقصر لما اقتضاه وضع الدّائرة النّاشـئة من انحسـار الماء عن كرة الأرض. وكُلّ قسم من هذه الأقاليم منقسم بعشرة أجزاء من المَغرِب إلى المَشـرِق على التّوالي[٢٣]. وسـنتحدث عن أسماءِ هذه الأقاليم وطبيعتها لاحقًا.

لقـد ربـط الجُغرَافيّـون العَـرَب المُسـلِمون والفلكيـون أقاليـم الأرض السّـبعة بالكواكـب السّيارة والبروج الفلكيّة، وطبقوها على جُغرَافيّة الأرض بكفـاءة عالية تشـهد لهـم. إذ حَدد هؤلاء إقليم الهندِ لزحل، وإقليمَ بابلَ للمشـتري، وإقليم التّـرك للمريـخ، وإقليم الـرّوم للشـمس، وإقليم مصر لعطارد، وإقليم الصّين للقمر[٢٤].

أما خط الإسـتواء، فهـو خطٌّ وهميٌّ فاصل بين هـذه الأقاليم، الـذي ((يقابل معـدل النّهار، وهو حيث يُرى القطبان الجنوبي والشمالي ملاصقين للأرض، والليل والنهار مسـتويان فيه أبدًا))[٢٥]، إذ إنّ خط ابتدائه من المَشـرِق حتى المغرب،...، وسُمّي بذلك الاسـم من أجل أن النّهار والليل فيه أبدًا سـواء، لا يزيد ولا ينقـص أحدُهما عن الآخر شـيئًا البتة في سائر أوقات السّنة كلها[٢٦]. فضلًا عـن أنّ المـدن التي تقـع ضمن خط الاسـتواء لا عـرض لها، وكُلّ مدينة تقع في أقصى المَغرِب لا طـول لها أيضًا. فمن أقصـى المَغرِب إلى أقصى المَشرِق مائة وثمانون درجة[٢٧].

إنّ جُغرَافيّـة أقاليـم الأرض السّـبعة بمثابـة خطـوط وهمية، وضعها الجُغرَافيّون والبُلدَانيون العَـرَب لتقسـيم الأرض على وفق هـذه الكيفية، غايتُهـا معرفة صفات كُلّ إقليـم، ومواقع البُلدَان

(٢٣) يُنظَر: المُقَدِّمَة، ابن خلدون، ص٣٦.

(٢٤) يُنظَـر: كتاب الخطط، المَقريزيّ، تقـي الدّين، ج١، ص٢٠. وللمزيـد عن تحديد معنى الفلك وأسـماء الأفلاك والـبروج ومواقعها في السّـماء، يُنظَـر: ص١٠ وما بعدها من كتاب الخطط. كما أن إخوان الصّفا قد وضعوا كواكب سـيارة أخرى غير التي أشار إليها المَقريزيّ، وسوف نشير إلى ذلك في موضعه.

(٢٥) يُنظَر: مفاتيح العلـوم، الخوارزمي الكاتب، مَصدَرٌ سَبَقَ ذكرُهُ، ص١٢٥.

(٢٦) يُنظَـر: الخطط، المَقريزيّ، ج١، ص١٦. الرّسـائل، إخوان الصّفا، مج ١، ص١٦٩.

(٢٧) يُنظَر: الرّسائل، إخوان الصّفا، مج ١، ص١٦٩.

فــي كُلّ إقليم، وتداخلها مــع الأقاليم الأخرى، من حيــث بيئته ومناخه، ودرجــات الحرارة والبرودة أو الاعتــدال، ناهيك عن طول النّهــار من قصره، وطبيعة الأرض من جبال، أو سهول، أو صحارى، أو هضــاب، ومــا الــزّروع والثمــار والحيوانــات التي تعيــش في كُلّ إقليم. وأيــن تقع المُحيطات والبحــار في المعمــورة. وكيف يتداخــل بعضُها مــع بعض. مع العلم أن هذه الأقاليم مختلفة فيما بينها بحسب الطّول والعرض، من جهات الأرض الأربعة (الشمال والجنوب والشرق والغرب).

ومــن الجدير بالذكــر أن إخوان الصّفا يتفقون فــي هــذا المجــال مــع الجُغرَافيّيــن والبُلدَانيين بصــدد الأقاليــم السّــبعة للأرض، إذ هي ليســت أقســامًا طبيعية، بل هي خطــوط وهمية وضعها الملــوك الأولون الذّين طافوا الرّبع المســكون من الأرض، لتُعلــم حدود الممالك والمســالك، وهؤلاء الملــوك الأولــون علــى وفق إخــوان الصّفــا، هم: أفريــذون النّبطــيّ، وتُبَّــع الحِميــريّ، وســليمانُ بن داودَ الإســرائيليّ عليهما السّــلام، والإســكندرُ اليونانيّ، وأردشــيرُ بن بابكَ الفارسيّ. وأما ثلاثة أرباع الأرض الباقية فمنعهم من ســلوكها الجبال الشّــامخة، والمَســالك الوَعرة، والبحــار الزّاخرة، والأهويــة المتغيــرة، المُفرطــة التّغير مــن الحرّ والبــرد، والظُلمة. فمثلًا في ناحية الشّــمال تحت مدار الجدي يوجد بردٌ مُفرط جدًا، إذ ســتة أشهر يكون الشّــتاء هناكَ ليلًا كلــه، فيظلم الهواءُ ظلمة شــديدة، وتجمــدُ المياه بشــدّة البــرودة، ويتلف الحيــوانُ والنّبــات، وفي مقابل هــذا الموضع في ناحية الجنــوب، هناك مــدار ســهيل (القطبي)، يكون نهارًا كلُّه، ستة أشهر صيفًا، فيحمي الهواء ويصير نارًا ســمومًا، ويحترق الحيــوانُ والنبات من شــدة الحرّ، فلا يمكنُ السّــكنى ولا السّــلوك هنــاك. وأما من ناحيــة المغرب، فيمنع السّــلوك فيها البحر المُحيط (= المُحيط الأطلسي) لتلاطم أمواجه وشدة ظلماتِه، وأما ناحية المَشرِق، فيمنع السّلوك هناك الجبالُ الشّامخة، فإذا تأملتَ وجدتَ النّاس محصورين في الرّبع المسكون من الأرض، وليس لهم عِلمٌ بالثلاثة أرباع الباقية[٢٨].

كمــا يصــرح الجُغرَافيّــون العَرَب المُســلِمون وعلى رأسهم المَسعُوديّ في كتابه أخبار الزّمان، والمَقريــزيّ فــي الخطــط، أن الأرض المعمــورة بالبشر والعمارة مثل طائر رأسه الصّين، والجناح الأيمــن الهنــد والســند، والجناح الأيســر الخزر، وصــدره مكة والعــراق والشــام ومصــر، وذنبه المغــرب[٢٩]. إذ يســمي المَســعُوديّ هذا القســم المسكون بالقسم العامر، منه ما هو مفرط الحر، وهو ما كان من جهة الجنوب، لأنَّ الشّــمس تقرب منــه، ومنها مــا هو مفــرط البرد، لبعد الشّــمس عنه، وهو ما كان من جهة الشّــمال، أما المَشــرِق والمَغــرِب فمعتــدلان، وإنْ كان المَشــرِق أظهــر اعتــدالًا. في حيــن أن بقية المواضــع من الأرض لا عمارة فيها. أو على وفق تســميته بالقسم غير المسكون أو الغامر، وهو على قسمين: إما يفرطُ فيه البردُ لبُعد الشّــمس عنه، أو يفــرطُ فيه الحرُّ

(٢٨) المَصدَرُ نَفسُهُ، الرّسائل، مج ١، ص١٦٦.

(٢٩) يُنظَر: أخبار الزّمان، المَسعُودِيّ، ويقارن: الخطط،، المَقريزيّ، مَصدَرٌ سَبَقَ ذكرُهُ، ج١، ص١٧.

لقربِهـا منـه، فلا يعيـشُ هناك حيـوانٌ ولا ينبتُ نبات[٣٠].

ويفيدنا إخوانُ الصّفا بمعلومات قيِّمة عن هذه الأقاليم العامرة بالسّكنى والحياة في الأرض، وهي التي تقع في الرّبع الشّمالي من خط الاستواء[٣١]، وهي سـبعة أقاليـم، كُلّ إقليم منها كأنه بسـاط مفـروش، قد مُدّ طولُه من المَشـرِق إلى المغرب، وعرضُه مـن الجنوب إلى الشّـمال، وهي مختلفة الطّول والعرض، فأطولُها وأعرضها الإقليم الأول، ذلـك أن طولـه من المَشـرِق إلـى المَغـرِب نحوٌ من ثلاثة آلاف فرسـخ، وعرضه مـن الجنوب إلى الشّـمال نحو مائة وخمسين فرسـخًا، وأقصرها الإقليم السَّابِع، لأنَّ طوله من المَشرِق إلى المَغرِب نحو مـن ألف وخمسـمائة فرسـخ، وعرضه من الجنـوب نحوٌ من سـبعين فرسـخًا. وأما سـائر الأقاليم ففيما بينهما من الطّول والعرض[٣٢].

ومـن أجل بيان طبيعة وبيئـة ومناخ كُلّ إقليم مـن أقاليم الأرض السّـبعة على وفـق المعطيات الجُغرَافيّـة الطّبيعيّة والبشـريّة، التـي زودنا بها الجُغرَافيّـون والبُلدَانيـون والفلاسـفة العَـرَب المُسلِمون في زمانهم، لابدّ من تفصيل القول في كُلّ إقليم منها، وعلى وفق الآتي:

الإقليم الأول:

هـو الإقليـم الذي أطول نهـاره لا يتجاوز فيه ثلاث عشرة ساعة. لأنَّ ما حاذى هذا الإقليم يشتمل عليه البحـر ولا عمـارة فيه (غير مسـكون)[٣٣]. وطول هذا الإقليم من المَشرِق إلى المَغرِب ٣١٨٥ فرسخًا (= ٩٥٥٥ ميلًا)، وعرضه من الجنوب إلى الشّـمال ١٤٦ فرسـخًا (٤٤٥ ميلًا)، ويبتدئ هذا الإقليم من الصّين وشـمال جزيرة سـرنديب[٣٤]، ويمـر بالهند والسـند، والجزيـرة العَرَبيّة، وبلاد اليمن من جهة البحر، وبلاد الحبشة، ونيل مصر، وأرض النّوبـة، وأرض المَغـرِب على جنوب بلاد البربـر، إلى المُحيط الأطلسـي، وفـي هذا الإقليم يوجد ثلاثون نهرًا، وخمسون مدينة كبيرة، وعامة أهله سـود الألوان، فاللـون تابع لمزاج الهواء كما يقول ابن خلدون.

إن رأي ابـن خلـدون هذا على خلاف ما يقوله بعض عُلَمَاء الأناسة (الأنثربولوجيين) من أن اسم السّـودان إنما أطلق على أهل هذا الإقليم بسـبب رجل أدمي أسود البشرة، وهي دعوة عنصرية على ما يبدو مـن قبل الأنثروبولوجيين، تطوي وراءها أيديولوجيات ضيقة الأفق في تقسـيم البشر إلى أمم وأعراق مـن أجل التّمييز بينها واسـتعمارها واحتلالهـا، من قبل أمـم تختلف معهـا في لون

(٣٠) يُنظَر: مروج الذهب، المَسعُودِيّ، مَصدَرٌ سَبَقَ ذكرهُ، ج١، ص٧١، ويقـارن:، أعـلام العرب، أحمَد السّـامرائي، مرجع سبق ذكره، ص٢١٢.

(٣١) يُنظَر: الرّسـائل، مج٢، الجسـمانيات والطبيعيات، ص٥٥، و مج١، الرّياضيات، ص١٤٠.

(٣٢) المَصدَرُ نَفسُهُ، مج ١، ص١٤٣.

(٣٣) المَصدَرُ نَفسُـهُ، مج١، ص١٤٧. ويقـارن: المُقَدِّمَة، ابن خلدون، ص٤١. ويلاحظ أن ابن خلدون عندما يحصر حـدود هذا الإقليم والأقاليم الأخـرى جغرافيًا، فإنه يبتدئ مـن المغرب إلى المشرق، بخـلاف المَقريزيّ الذي يبتدئ من المشرق فينتهي في المغرب.

(٣٤) يُنظَـر: الرّسـائل، إخوان الصّفا، مـج ١، ص١٤٧. وسنشـير لمدينـة سرنديـب لأهميّتها لاحقًـا في مبحث ابن سينا.

البشـرة ليس إلا. وهنـا نجد فَيلَسُـوف الحضارة والتاريـخ ابن خلدون يوجه نقدًا علميًا وفَلسَـفيًّا عقلانيًا حـادًا لأصحاب التّوراة مـن اليهود، ومن تابعهم مـن الانثربولوجييـن المعاصرين، عندما نسـبوا لون السّـواد إلى أهل هذا الإقليم، بسـبب غضب النّبي نوح عليه السّـلام، علـى أحد أولاده وهـو (حام)، وقبول الله لدعوته على عليه، إذ يردّ ابن خلدون عليهم ناسبًا قول التّوراة إلى الخرافة والأسـاطير من حكايات القصاص، ويعزو سبب سـواد أهـل هـذا الإقليم إلى أثـر البيئـة والمناخ وطبيعـة الحر والبـرد في الهـواء، إذ أُخذ موقف ابن خلدون هـذا بمثابة قانـون جُغرَافيّ طبيعيّ وبشريّ على بقية تعدّد ألوان البشر الآخرين[٣٥].

يمتـاز الإقليم الأول بيئيًـا ومناخيًا بمزية فرط الحـرارة (اشـتدادها)، وكثـرة الميـاه، فمن هذا الإقليـم يأتي نهـر النّيل[٣٦]، وأن أكثـر زرع أهله الـذّرة والأرز، كمـا أن اعتـدال (المنـاخ) عندهم معدوم، بسبب أن الشّـمس تُسامِتُ (السَّمت: هو نقطةٌ وهمية مـن الفلك تقع فوقَ الرّأس عموديًا) رؤوسـهم مرتيـن في السّـنة، قريبـة إحداها من الأخرى، فتطول المُسـامَتة عامّة فصول السّـنة، فيكثر الضّوء لأجلها، ويلحُّ القيظُ الشّـديد عليهم، وتسـوَدُّ جلودُهـم لإفراط الحر. فـلا يثمرُ عندهم كرم، ولا حنطة، وأما البقـرُ فعندهم كثيرٌ، لكثرة المروج. وأما موقعُ هـذا الإقليم على وفق البروج فهي الحمـل والقوس، وله من الكواكب السّـيارة زحل أو المشتري[٣٧].

يُفصّـل ابـنُ خلدون القول في هـذا الإقليم من النّاحيتيـن الدّينيـة والأخلاقيـة، بِتَعداده أسـماءَ المُـدن والقـرى، والأنهـار والبِحـار، والمفـاوز، وأسماءِ القبائلِ والدُّول والإمارات التي قامت فيه، فضلًا عن أسماء الكتب المُقدّسة لديهم والدّيانات. وغيـر ذلك مـن أمـور[٣٨]. يقـول: ((إنَّ أهلَ هذا الإقليم يسـكنون الكهـوف والغيـاض، ويأكلون العشـب، وأنهم متوحّشون غير مُستَأنَسين، يأكل بعضُهم بعضًا، وسبب ذلك لبعدهم عن الاعتدال في المنـاخ [٣٩]. حتـى تنعكس آثارها فـي الحضارة والعمران والدّيانة والعبادة والشرائع. فلا يعرفون نبـوّة، ولا يدينـون بشـريعة، إلا من قـرُب مِنهم من جوانـب الاعتدال، وهو في الأقـل النّادر، مثل الحبشـة المجاورة لليمن الدّائنـة بدين النّصارى

(٣٥) يُنظَـر: المُقَدِّمَة، ابن خلـدون، ص٦٧. ويلاحظ دقّة الجَدل المنطقيّ العقليّ الفلسـفي لديه بصدد هذه المسـألة الشّـائكة في تقسـيم البـشر إلى أجناس وأعـراق. وربطها بالعامل البيئي الطّبيعي لا بسـبب النّقمة الإلهية على أبناء النّبـي نوح، كمـا يعتقد اليهـود ومن جاراهـم من علماء الأناسـة والأجناس في العصر الحديث الذيـن وقعوا تحت تأثير الفكر اليهـودي الصّهيوني. إذ يعتمد ابن خلدون في الدّفـاع عن رأيه في أثر البيئة والمناخ على ألوان البشر بنص قول الفيلسوف ابن سينا في أرجوزته في الطّب

بالزنج حَر غَيَّر الأجسادا حتى كسا جلودها سوادا
والصقلـب اكتسـب البياضـا حتـى غـدت جلودها بضاضا

(٣٦) يُنظَـر: الخطـط، المَقريـزيّ، ج١، ص٢٠-٢١. ويقارن: المُقَدِّمَة، ابن خلدون، ص٦٦.

(٣٧) عنـد إخوان الصّفا، زحل، في حـين عند ابن خلدون والمَقريزيّ، هو المُشتري.

(٣٨) يُنظَـر: المُقَدِّمَة، ابـن خلدون، مَصدَرٌ سَـبَقَ ذكرُهُ، ص٤٣.

(٣٩) المَصدَرُ نَفسُهُ، ص٦٦.

فيما قبل الإسلام، وما بعده لهذا العهد، وكذلك أهل مالي وكوكو والتكرور المجاورين لأرض المغرب[٤٠].

لكن، تواجه الباحث في جُغرَافيّة ومناخ هذا الإقليم (الأول) مشكلة رئيسة، ألا وهي ظهور نبوة النّبي مُحَمَّد (ﷺ) والمناداة بالإسلام فيه، إذ تقع مكة والمدينة وبعض مدن الجزيرة العَرَبيّة والحجاز ضمن حدود هذا الإقليم، وما ينطبق على هذه المدن ينطبق على مكة والمدينة في أثر المناخ والبيئة في أهله من كافة الجوانب الدّينية والأخلاقية. لكن ابن خلدون ينبري للدفاع عن هذه المشكلة، إذ يضع لها حلًا يتّسم بالبُعد الميتافيزيقيّ الفَلسَفيّ، دون أن يتنازل عن ربطه الأسباب ببعضها، من خلال الحتميّة الطّبيعيّة التي تؤمن بأثر البيئة والمناخ في الإنسان وظهور الحضارات والديانات، قائلًا: ((ولا يعترض على هذا القول بوجود اليمن وحضرموت والأحقاف وبلاد الحجاز وما إليها من جزيرة العَرَب كما ذكرنا))[٤١]، ولكن ((كان لرطوبتها أثرٌ في رطوبة هوائها، فنقص ذلك من اليَبَس والانحراف الذي يقتضيه الحر، وصار فيها بعض الاعتدال، بسبب رطوبة البحر))[٤٢].

أما المؤرخ والجُغرَافيّ المَسعُوديّ فيقدم معلومات أنثربولوجيّة جدُّ مهمة عن طبائع وألوان سُكّان هذا الإقليم، فيقولُ عنهم: إنَّ أهله من الزّنج وسائر الأحباش ((الذين كانوا تحت خط الاستواء، وتحت مسامتة الشّمس، صاروا من التّهاب الحرارة وقلة الرّطوبة سود الألوان، واحمرّت أعينُهم، وتوحَّشَت نفوسُهم، وذلك لالتهاب هوائِهم، وإفراط الأرحام في نُضجِهم، حتى احترقتْ ألوانُهم، وتفلفلَتْ شعورُهم، لغلبة البُخار الحارّ اليابس))[٤٣].

أما من النّاحية الأخلاقية فقد غلبَ عليهم الطّربُ والفرحُ بشدّة، ورأي المَسعُوديّ بحق أهل هذا الإقليم قال به من قبل الفَيلَسُوف الكِندي.

الإقليم الثّاني:

وهو محاذٍ للأول، يقع في شماله، وطوله من المَشرِق إلى المَغرِب ٧٦٥٥ ميلًا، وعرضه من الجنوب إلى الشّمال ٦٠٠ ميل، ويكون النّهار الأطول فيه ثلاث عشرة ساعة ونصف، وتبدأ حدوده من بلاد الصّين مارًا ببلاد الهند والسند، فالبحر الأخضر (= بحر العَرَب)، وبحر البصرة (= الخليج العَرَبيّ)، ويقطع جزيرة العَرَب في ارض نجد وتهامة، واليمامة والبحرين ومكة والمدينة، والطائف وارض الحجاز وصعيد مصر الأعلى وأسوان، وارض المَغرِب على وسط أفريقية (تونس) وبلاد البربر إلى البحر في المغرب. وفي هذا الإقليم سبعة عشر جبلًا، وسبعة عشر نهرًا، وأربعمائة وخمسون مدينة[٤٤].

وتتصف ألوان أهل هذا الإقليم ما بين السّمرة والسواد، وله من البروج الجدي أو المشتري، ومن

(٤٠) المَصدَرُ نَفسُهُ، ص٦٦.

(٤١) المَصدَرُ نَفسُهُ، ص٦٦.

(٤٢) المَصدَرُ نَفسُهُ، ص٦٦.

(٤٣) التّنبيه والإشراف، المَسعُودِيّ، مَصدَرٌ سَبَقَ ذكرهُ، ص٣٨-٣٩. ويقارن: ابن سعيد المغربي، كتاب بسط الأرض في الطّول والعرض، ص١٢، الأعلاق النّفيسة، وابن رستة،ص٩٣-٩٤.

(٤٤) يُنظَر: الخطط، المَقريزيّ، ج١، ص٢١. المُقَدِّمَة، ابن خلدون، ص٤٦. كتاب عجائب الأقاليم السّبعة إلى نهاية العمارة، سهراب، ص١٦.

الكواكب السّيارة زحل، وسكانه من البدو الرّحالة، ففـي المَغرِب منهـم حدالة وصنهاجـة ولمتونة، ورحالة مصر من ألواح، ورحالة السّماوة من أهل العراق، ورحالة التّرك[٤٥]. وبما أن بعض سـكان هذا الإقليم من الرّحالة، فإن الشّيم والأخلاق التي تعكسـها طبيعـة البيئـة والمناخ وطـول النّهار وقربهم من الإقليم الأول، نجد أن أهله يتأثرون بلا شـك بطبائع أولئك، فضلًا عن طبيعة البداوة من خشـونة الطّبع الذي تركه شظفُ العيش، وقسوة المناخ وقلّة المـوارد الطّبيعية، مِمَّـا أبعدهم عن التّرف الـذي تطبعه المدنية والحضارة بطابعها، وألبسـهم لباسَ الشّـجاعة والقسوة، وحبّ ركوب الخيل، والغزو المسـتمر، للحصـول على الموارد الغذائية من أهل المدن والحواضر.

وربمـا يسـأل سـائلٌ، عـن الإقليميـن (الأول والثاني)، اللذين تقع فيهما أكبر المدن التي ظهر فيها الإسـلام، وأقـام دعوته، وانتشـر منها على العالميـن، ألا وهما مكة والمدينة، فضلًا عن بقية مـدن الجزيـرة العَرَبيّة والحجاز فـي هذا الإقليم التي ظهر فيها أنبياء ورسـل يستمدّون وجودهم وتبليغ رسـالاتهم بقوة من اللـه، على حد وصف القـرآن الكريـم لهم، هل يجـوز أن نصف طبائع وأخلاق وشـيم وعـادات أهـل هاتيـن المدينتين (مكـة والمدينـة) وبقيـة مـدن هذا الإقليـم، وما يتمتعـون به من مواقف كونيّة ودينيّة، وشـرائع، كما وصفنا بشكل عام طبائع وشيم وأخلاق بقية مـدن وحواضـر الإقليمين الأول والثاني اسـتنادًا لمعطيـات البيئة والمنـاخ والجُغرَافيّة، على وفق ابن خلدون؟.

للإجابة على هذا السـؤال: أجد نفسـي منحازًا لـرأي ابن خلـدون فـي الحتميـة الجُغرَافيّة من جهـة، وذلك عندمـا ربـط طبائع وألوان البشـر وتنوعهـا بالبيئـة والمنـاخ، والحـرارة والبرودة والرطوبـة واليبوسـة، ربطًا جدليًـا لا فكاك منه. ومـن جهة أخرى، يمكن لكاتب هذه السّـطور أن يضيف إلـى رأي ابن خلدون عوامـل أخرى مثل الإرادة والمشيئة الإلهية ببُعدِها الماورائي، فضلًا عـن التّحدي والاسـتجابة البشـريّة، إذ إنَّ الإرادة والمشـيئة الإلهيـة هي التي تختار من تشـاء من البشـر ليبلغ رسالة الله إلى النّاس كافة، وفي أي إقليـم، دون أن يكون ذلك موافقًـا لحتميّة البيئة والمنـاخ، فالاسـتثناءات موجـودة فـي كُلّ زمان ومكان، فضلًا عن أن نظريّة التّحدّي والاسـتجابة تجـد حضورها هنا بقوة، تلـك النّظريّة التي قال بها فَيلَسُوف الحضارة والتاريخ المعاصر ارنولد توينبـي (ت ١٩٧٥) التـي تَـدرس أسـبابَ قيام الحضارات وانهيارهـا، وتتجلّى هذه النّظرية من خلال رسالة الإسـلام التي جاء بها من الله النّبي مُحَمَّد (ﷺ)، هذه الرّسالة قامت في أرض لا زرعَ فيها ولا ضرعَ، ومناخهـا غير معتدل، لكن أهلها قبلـوا بها، في حين توجد مدنٌ فـي أقاليمَ أخرى متطرفة في مناخها من جهة البرودةِ لم يسـتطعْ سـكانُها أن يبنوا حضارة ولا عمرانًا، ولا قام فيها دين، ومثال ذلك نموذج أهل الاسكيمو. بمعنى أن الإمكانية البشرية والإرادة الإنسانية قادرة أحيانًا علـى تكييف معطيات البيئـة والمناخ وتطرفهما بتكييفهما من أجل سعادته ورفاهيته وكماله.

(٤٥) يُنظَر: الخطط، المَقريزيّ، ج١، ص٢١.

الإقليم الثّالث:

يقع شمال الإقليم الثّاني، وطوله من المَشرِق إلى المَغرِب ٨٢٥٥ ميلًا، وعرضه من الجنوب إلى الشّمال ٣٥٥ ميلًا، ويكون النّهار الأطول فيه أربع عشرة ساعة، وحدوده تبتدئ من شمال الصّين مرورًا ببلاد الهند والسند، وأفغانستان وكرمان وسجستان وسابور وشيراز والعراق من حدود البصرة، والأهواز وواسط وبَغدَاد والكوفة والأنبار وهيت، ثم يمر ببلاد الشّام وصور وعكا ودمشق وطبرية وبيت المقدس وعسقلان وغزة ومدين، ويقطع أسفل أرض مصر، وفيه الفيوم والإسكندرية ودمياط، ويمر ببلاد برقة وافريقية (= تونس)، فيدخل القيروان، وينتهي غربًا إلى البحر المتوسط، وغيرها من البلاد. وفيه ثلاثة وثلاثون جبلًا، واثنان وعشرون نهرًا، منها دجلة والفرات في العراق، وألوان بشرة أهله السّمراء، وله من البروج العقرب ومن السّيارة الزّهرة أو المريخ، وفي هذا الإقليم العمائر والمدن متواصلة من أوله إلى آخره[٤٦].

الإقليم الرّابع:

يُطلق عليه إقليم بابل والعراق، على وفق الجُغرَافيّين سهراب والمَسعُوديّ والمقدسي[٤٧]، إذ إنّ هذا الإقليم يتوسط الأقاليم السّبعة من جهتي الجنوب نحو الشّمال، وبالعكس، فحق عليه قول الوسط الذّهبيّ الأخلاقيّ الذي قال به الفَيلَسُوفُ أرسطو، فهو وسط بين الإفراط بالحرّ والتفريط بالبَرد، ويعدُّ هذا الإقليم أعدلها بيئةً وهواءً، وأحسنَها حيوانًا ونباتًا[٤٨]، طوله من المَشرِق إلى المَغرِب ٧٨٥٥ ميلًا، وعرضُه من الجنوب إلى الشّمال ٣٥٥ ميلًا، ويكون النّهارُ الأطولُ فيه أربعَ عشرة ساعة ونصف، وحدوده تبتدئ من خراسان وفرغانة وسمرقند وبخارى ومرو وطوس ونيسابور وجرجان وقومس وطبرستان وقزوين وأصفهان والمَوصل ونواحيها من الجزيرة، وجملة العراق (= بابل)، وبَغدَاد مدينة السّلام، والرقّة في سوريا، ودمشق وحلب وأنطاكية وطرابلس وحماه وصيدا وطرطوس وعمورية واللاذقية، ويقطع بحر الشّام على جزيرة قبرص ورودس، ويمر ببلاد طنجة، فينتهي في بحر المغرب. وفيه خمسة وعشرون جبلًا كبيرًا ومثلها من الأنهار، ومائتان وأثنتا عشرة مدينة. وتمتاز ألوان بشرة أهل هذا الإقليم ما بين السّمرة والبياض والحمرة والصفرة[٤٩]. وله من البروج الجوزاء ومن الكواكب السّيارة عطارد أو الشّمس[٥٠].

يتسم هذا الإقليم باعتدال مناخه وطول نهاره، وتميز الرّبيع والخريف عن الشّتاء والصّيف، لهذا

(٤٦) المَصدَرُ نَفسُهُ، ج١، ص٢١-٢٢. ويُنظَر: المُقَدِّمَة، ابن خلدون، ص ٤٧، وما بعدها. الأعلاق النّفيسة، ابن رستة، ص٩١.

(٤٧) يُنظَر: كتاب عجائب الأقاليم السّبعة، سهراب مَصدَرٌ سَبَقَ ذكرهُ، ص٢٣. التّنبيه والإشراف، المَسعُودِيّ، مَصدَرٌ سَبَقَ ذكرهُ، ص٤٨، أحسن التّقاسيم في معرفة الأقاليم، وشمس الدّين أبي بكر المقدسي، ص١٠٦.

(٤٨) يُنظَر: كتاب بَسط الأرض، ابن سعيد المغربيّ، مَصدَرٌ سَبَقَ ذكرهُ، ص٧١.

(٤٩) المَصدَرُ نَفسُهُ، ص٧١.

(٥٠) يُنظَر: الخطط، المَقريزيّ، ج١، ص٢٢. ويقارن: كتاب عجائب الأقاليم السّبعة، سهراب، مَصدَرٌ سَبَقَ ذكرهُ، ص٢٣-٣٠، المُقَدِّمَة، ابن خلدون، ص٥٢.

عـده الجُغرَافيّون العَـرَب من أعـدلِ الأقاليم من حيـثُ بيئتُه ومناخُـه وتربتُه ومياهُـه وحيواناتُه ونباتاتُه، وكثرةُ الأنهار والزروع والمدن والسكان، حتـى انعكس كُلّ ذلك على طبـاع أهله وأخلاقِهم وشيمِهم.

هـذا مـن جهة، ومـن جهة أخـرى يمتاز هذا الإقليم بمزيّـة لا يدانيه فيها أحدٌ من الأقاليم التي تحاذيـه من جهتي الجنوب والشـمال، إذ ظهرت فيـه الدّيانة الإبراهيميـة الحنيفيّة ومـا ولد عنها من ديانتي اليهودية والمسـيحية، فضلًا عن كثرة الأنبيـاء والرّسـل صلـوات الله عليهـم أجمعين، مِمَّا يـدلّ على مدى العُمق الحضـاريّ والمعرفيّ والثقافيّ والمـاديّ والأخلاقيّ القيميّ فيه، وليس هـذا فقـط،، بـل ظهـرت فيـه الحكمـة والعلوم والمعـارف والفلسـفات والشـرائع وقامـت على أصولها الحقّة، وكثر فيه الفلاسـفة والعُلَمَاء على اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم(٥١).

يصـف إخوان الصّفا في رسـائلهم الفَلسَـفيّة أقاليم الأرض الأول والثاني والسَّـادِس والسَّـابِع دون هـذا الإقليم، وما يجاوره مـن جهة الجنوب والشـمال (الثّالث والخامس)، بصفـات أخلاقيّة ومعرفيّـة وأنثربولوجيّـة قائمـة على المُشـاهدة العيانيّة الحسّيّة، والممارسات السّلوكيّة الأخلاقيّة لشـعوبها، قائليـن: ((إنَّ سـكان الأقاليـم الأول والثّاني والسَّـادِس والسَّابِع، ناقصون عن طبيعة الأفضل، لأنَّ صورَهم سـمجة، وأخلاقَهم وحشيّة، مثـل الزّنج والحَبشـة، وأكثرُ الأمـم الذّين هم في الإقليمين الأول والثاني، وكذلك الأمم الذّين هم في الإقليمين السَّادِس والسَّابِع، مثل يأجوج ومأجوج والبلغار والصقالبة وأمثالهم))(٥٢).

ولأهميـةِ هـذا الإقليم فـي مُؤَلّفـات الجُغرَافيّ والمؤرخ المَسـعُوديّ، نجـده يخصّصُ في كتابه التّنبيه والإشراف حديثًا مطولًا عن هذا الإقليم (= بابل) ويفردُ له مكانة متميزة من ناحيتي اعتدال البيئـة والمناخ، قائلًا ((ولم يعـرفْ ما حواه هذا الإقليم من ذلك أجمع، إلا ببابلَ، لفضلِ موضعِها، وجلالةِ صقعِها، لأنَّ ذوي المعرفة من النّاس إنما ينسـبون الشّـيء إلى الأفضل المشهور، ولولا أن بابل كذلك، ما نسـبوا هذا الإقليم مع سَـعةِ أرضه وجلالة مـا حوى من البُلـدَان إليه، وهـذا الإقليم وسـط الأقاليم السّـبعة، وأعدلُهـا وأفضلُها، وبلدُ العراقِ وسـطُه، فهـو شـرفُ الأرض وصفوتُها، أعدلُها غذاءً، وأصفاها هواءً، متوسّـط بين إفراطِ الحرّ والبردِ، وموضعُه الموضع الذي ينقسـم فيه الزّمان أربعة أقسام، فلا يخرج ساكنوه من شتاء إلـى صيف، حتى يمر بهـم الرّبيع، ولا من صيف إلى شتاء حتى يمر بهم فصل الخريف))(٥٣).

إنّ اهتمام المَسعُوديّ الفائق بهذا الإقليم جعل مقـام بابل والعراق بين بقيـة مدن وقصبات هذا الإقليـم، مقامَ القلـب من الجسـد والملك الأعظم من سـائر المملكة. ويبدو أن موقف المَسـعُوديّ

(٥١) يُنظَـر: الخطـط، المَقريـزيّ، ج١، ص٢٢، كذلـك، المُقَدِّمَة، ابن خلدون، ص٦٥ وما بعدها.، الرّسائل، إخوان الصّفا، مج ١، ص١٧٥.

(٥٢) رسائل، إخوان الصّفا، مج ١، ص١٥١.

(٥٣) يُنظَر: كتاب التّنبيه والإشراف، مَصدَرٌ سَـبَقَ ذكرهُ، ص٤٨-٤٩. ويقارن: مناقـب بَغدَاد، ابن الجوزي، جمال الدّين أبي الفرج (ت٥٩٧هـ)، ص ٤-٥. ويتفق الأخير مع المَسـعُودِيّ بعدّ ألإقليم الرّابع اعدل الأقاليم. وفي ذلك أيضًا يقول: من أن العراق وسطه، وبَغدَاد هي الوسط للوسط.

المفـرط فـي الإيجابية عن هذا الإقليـم إنما يعود إلـى أنه قد ولـد وعـاش وتثقف في هـذا الإقليم وفـي مدينة بَغدَاد تحديدًا، ثـم انتقل منه برغبته للتجوال في أرض الله الواسعة الفسيحة.

يضيـف المقدسـيّ (أبـو بكر) قـولًا على قول المَسـعُوديّ بحق إقليـم العراق، مـا نصه ((هذا إقليم الظرفاء، ومنبع العُلَمَاء، لطيف الماء، عجيب الهواء، ومُختار الخلفاء، وكُلّ فقيه ومقرئ وأديب، وسَـريّ وحكيـم، وداهٍ وزاهد ونجيـب، وظريف ولبيـب، به مولد إبراهيم الخليـل، وإليه رحل كُلّ صحابيّ جليل...))[٥٤].

كمـا يفصل المَسـعُوديّ القول فـي أثر البيئة والمنـاخ في أخلاق وفكر وحضـارة أهل العراق، من منظور أنثربولوجيّ وقيميّ وطبّيّ وفَلسَـفيّ، وذلـك بتوظيـف مـا ذكره أهـل المعرفـة عنهم، بقولـه: ((أهـل العقـول الفطنـة والشّـهوات المحمودة والشّـمائل المَوزونـة والبراعة في كُلّ صناعة، مع اعتـدالِ الأعضاء، واسـتواءِ الأخلاط، وسـمرةِ الألوان وهي أعدلُها وأقسـطُها، يسـتدلّ علـى اعتدال مزاج باطن أبدانهـم بالذي يرى من السّـمرة الظاهرة في ألوانهم، واعتدال أعضائهم، أعدل النّاس ألوانًـا ووجوهًا، وأتمّهم حُلمًا وفهمًا، فهم أهلُ العلم والخير، وذلك لامتزاج صقعهم من حر الجنوب وبرد الشّمال،...، فاعتدلوا، فاجتمعتْ فيهـم محاسـنُ جميع الأقطـار، كمـا اعتدلوا في الجِبِلَّـة، كذلـك لطفـوا فـي الفطنـة، والتمسّـك بمحاسـنِ الأمور،...، والصقع الذي مدينة السّلام منه (= بَغـدَاد) أفضلُ مواضع الأرضِ جميعًا في الطّيبِ والغذاءِ، وأنّ أطيبَ خيراتِ الدّنيا بعد الأمن والعافية والعزّ والرئاسة، صلاحُ الماء والهواء،...، وأما موقع مدينة السّـلام (بَغدَاد) من هذا الإقليم، فهـو أفضـل مواضـع الأرض جميعًـا فـي طيب هوائه وغذائه))[٥٥]. ويضع المَسعُوديّ الكثير من المزايـا التـي يمتاز بها هذا الإقليـم وأهله، مِمَّا لا نريد الوقوف عنده طويلًا.

الإقليم الخامس:

يلـي الإقليـم الرّابع في الاعتـدال، وهو إقليمُ الـرّوم علـى حـد تعبيـر سـهراب[٥٦]، إذ يكـون متوسـط نهار هذا الأخير خمس عشـرة سـاعة، وطوله من المَشـرِق إلـى المَغـرِب ٧٤٥٥ ميلًا، وعرضـه من الجنـوب إلـى الشّـمال ٢٥٥ ميلًا، ويبتـدئ من المَشـرِق من بلاد يأجـوج ومأجوج ويمر بشمال خراسـان وفيه خوارزم وأذربيجان وسجستان ويمر على بلاد الرّوم إلى رومية وبلاد الأندلس[٥٧]، واليونان وقسـطنطينية وبرشـلونة وانكلترا وفرنسـا[٥٨]، حتـى ينتهي إلى البحر في المغـرب، وفيه مـن الجبال الطّـوال ثلاثون جبلًا ومن الأنهار الكبار خمسة عشر نهرًا، ومن المدائن

(٥٤) كتاب أحسـن التّقاسـيم في معرفـة الأقاليم، مَصدَرٌ سَبَقَ ذكرهُ، ص١٠٦.

(٥٥) التّنبيه والإشراف، مَصدَرٌ سَـبَقَ ذكرهُ، ص٥٣-٥٤، كمـا ويصفهم الطّبيب والفيلسـوف اليونانـي جالينوس، أنهم أهل العلم حصرًا.

(٥٦) يُنظَـر: كتاب عجائب الأقاليم، مَصدَرٌ سَـبَقَ ذكرهُ، ص٣١.

(٥٧) يُنظَـر: الخطـط، المَقريـزيّ، ج١، ص٢٢-٢٣. ويقارن: المُقَدِّمَة، ابن خلدون، ص٥٧-٦٠.

(٥٨) يُنظَر: المُقَدِّمَة، ابن خلدون، ص٦١. وهذه الأسـماء التـي ذكرناها أوردها ابن خلـدون بطريقة أخرى، فمثلًا انكلترا (انكلاية). ص٦٠.

الكبــار مائتا مدينة، وأكثر أهله بيض الألوان، وله من البروج الدّلو ومن الكواكب السّــيارة القمر أو الزّهرة على ما يقوله إخوان الصّفا[٥٩].

يجــد كاتــب هذه السّــطور أن مــن الضّروري والواجب التّنويه إلى مسألة في غاية الأهمية فيما يخصّ هذا الإقليمَ والإقليم الرّابعَ الذي ســبقه، ألا وهــي: أن اعتــدالَ البيئة والمناخ وطول ســاعات النّهــار فيــه ووضوح فصلــي الرّبيــع والخريف، اللذانِ هما من أعدلِ فصولِ السّــنة مناخًا وهواءً، قــد تركا أثرهمــا البارز في ســلوك وطباع النّاس السّــاكنة في هذه الأقاليــم، فضلًا عن توفّر المياه الصّالحــة للشّــرب مِمَّــا أدى إلى وجــود العمارة واستقرار السّكان في الرّيف والمدينة، فنجم عن ذلك الاســتقرار قيام أســباب الحضــارة والمدنيّة بقــوّة، فكان مــن أســبابِها وجودُ ثقافــة وفنون، وفلســفات وعلــوم، ومعارف هندســيّة وفيزيائيّة ورياضيّة وفلكيّة وجُغرَافيّة، وغير ذلك.

فضــلًا عــن المشــيئة الإلهيّة التــي وجدت في ســكان هذيــن الإقليمين من البشــر ما يســتلزم إرسال الرّســل والأنبياء والحكماء إليهم ومن بين أظهرهم، ليرشــدوهم إلى الطّريق القويم. ناهيك عن الفلاســفةِ والحكماءِ في تأملاتِهم الفَلسَــفيّة العقليّــة والأخلاقيّــة، بخلاف ما هــو موجود في الأقاليــم الأخرى التي عرضنا لها من قبل، أو التي سنعرض لها فيما بعد وهما (السَّادِس والسَّابِع). إذ ســنجد إشــاراتٍ متميزة لدى الفلاسفة اليونان والعَــرَب المُســلِمين عــن أهميــة ومكانــة هذين الإقليمين سنفصل القول فيها لاحقًا.

الإقليم السَّادِس:

يلي الإقليم الخامس من جهة الشّمال، وطولُه من المَشرِق إلى المَغرِب ٧٥٥٥ ميلًا، وعرضُه من الجنوب إلى الشّــمال ٢٥٥ ميــلًا، ومع هذا الإقليم نبــدأ بالابتعاد عن الاعتدال في البيئة والمناخ على حد تعبيــر الجُغرَافيّيــن والبُلدَانيين، معه نقترب مــن الطّــرف المقابــل للإقليميــن الأول والثاني، ولكن بإفراط البــرودة التي يتمتّعُ بها هذا الإقليم والإقليم الــذي يليه (السَّــابِع)، بخــلاف الحرارة العالية التي يتمتع بهما الإقليمان الأول والثاني.

ويكــون النّهــار في هذا الإقليم خمسَ عشــرة ســاعة ونصف السّــاعة، ويبتدئ هــذا الإقليم من المَشرِق مارًا ببلادِ التّرك، من أبحر خير والتغرغر إلــى بــلاد الخــزر، من شــمال نجومهــم، وأرض برحــان والقســطنطينية وشــمال الأندلــس، إلى البحــر المُحيــط الغربي (= المُحيط الأطلســي)، وبريطانيا وفرنســا وألمانيا وروسيا والبلغار[٦٠]، وبلــدان أخرى تقع في الجزء الشّــمالي من الكرة الأرضيــة. وفي هــذا الإقليم مــن الجبــال الطّوال اثنان وعشــرون جبلًا ومن الأنهــار الطّوال اثنان وثلاثــون نهرًا ومن المدن الكبار تســعون مدينة. وله من البروج السّــرطان والأســد، ومن السّيارة المريــخ[٦١]، أو عطارد على حد مــا يقوله إخوان الصّفا[٦٢].

(٥٩) يُنظَر: الرّسائل، إخوان الصّفا، مج١، ص١٥٢.

(٦٠) يُنظَر: المُقَدِّمَة، ابن خلدون، ص٦٢.

(٦١) يُنظَر: الخطط، المَقريزيّ، ج١، ص٢٣.

(٦٢) يُنظَر: الرّسائل، مج ١، ص١٥٣.

يمتاز سكان هذا الإقليم بتأثير بيئتهم ومناخهم البــارد فيهــم، إذ أصبحت ألوان بشــرتهم ما بين الشّقرة والبياض، وسوف نتحدث عن هذه المزايا والشــيم والأخلاق والطبائع لأهل هــذا الإقليم بعد عرض الإقليم السَّابِع.

الإقليم السَّابِع:

وهو الأخير من أقاليم الأرض من جهة الشّمال، إذ يكون النّهار الأطول فيه ستّ عشرةَ ساعة، في الطّرف البعيد من الإقليم الأول، وطولُه من المَشرِق إلى المَغرِب ٦٦٥٥ ميلًا، وعرضُه من الجنوب إلى الشّــمال ١٨٥ ميلًا، وبهذا يكونُ فرق التّوقيت ما بيــن الإقليم الأول والسَّــابِع حوالي ثلاث ســاعات ونصف، وجُغرَافيّة هذا الإقليم تبدأ شرقًا من بلاد يأجوج ومأجوج، ويمرّ ببلاد التّرك على ســواحل بحر جرجان مِمَّا يلي الشّمال، ويقطع بحر الرّوم (=المتوســط) على بلاد جرجان والصقالبة، إلى أن ينتهي إلــى البحر المُحيط (= الأطلســي) في المغــرب[٦٣]. وانكلترا وآيســلاندة الدّائمة الثّلوج والمتصلة ببلاد روســيا وبلغاريــا[٦٤]. ويضم هذا الإقليم عشــرة جبال طوال، وأربعيــن نهرًا طوالًا، واثنتين وعشــرين مدينة كبيرة، ولــه من البروج الميزان ومن الكواكب السّــيارة الشّمس، أو القمر علــى ما يقولــه إخوان الصّفــا[٦٥]. وتمتــاز ألوان بشرة أهله بالشقرةِ، والشعور المسبطة، والعيون الزّرقاء.

يفيدنا المَســعُوديّ بإشــارات مهمة في كتابه التّنبيه والاشراف، عن بيئة ومناخ ومزايا وصفات أهل هذين الإقليمين (السَّــادِس والسَّابِع)، تقربنا كثيرًا مــن مــا تقدمــه الدّراســات الأنثربولوجية الحديثة والمعاصرة، بل وتتفوق عليها، لما فيها من دقة الوصف الجسميّ والعقليّ والنفسيّ لأهل هذين الإقليمين، يقول: ((وأهل الرّبع الشّــمالي، وهــم الذّيــن بَعُــدت الشّــمس عــن سَــمتِهم من الواغلين في الشّــمال، كالإفرنج والصقالبة ومن جاورهم من الأمم. فإن ســلطانَ الشّمس ضعف عندهــم لبعدِهم عنها، فغلــبَ على نواحيهم البردُ والرطوبة، وتواترت الثّلوج عندهم والجليد، فقل مزاج الحرارة فيهم، فعظمت أجســامُهم، وجفت طبائعُهم، وتوعّرتْ أخلاقُهــم، وتبلَّدتْ أفهامُهم، وثقلت السانهم، وابيضّت ألوانُهم، حتى أفرطت، فخرجتْ من البَياض إلى الزّرقة، ورقّت جلودُهم، وغلظت لحومُهم، وازرقّت أعينُهم، فلم تخرجْ من طبع ألوانِهم، وســبطتْ شــعورُهم، ولم يكن في مذاهبهم متانة، وذلك لطباع البرد وعدم الحرارة، ومن كان أوغل منهم في الشّــمال، فالغالب عليه الغباوة والجفاء والبهائميّــة،...، وغلبتْ البرودةُ والرطوبة على مســاكنِهم، فاسترختْ أجسامُهم وغلظت، ولانت فقارات ظهورهم وخرز أعناقهم، وغــارت مفاصلهــم لكثرة لحومهم، واســتدارت وجوهُــم، وصغرت أعينُهــم، لاجتمــاع الحرارةِ فــي الوجه، واحمــرّت ألوانُهم، إذ كان من شــأن البرودة وجمع الحرارة وإظهارها))[٦٦].

ونحــن نختم حديثنا عن الأقاليم السّــبعة، لابدّ من الإشــارة إلى وجود مدن أخرى لا تقع ضمن حدود الأقاليم السّــبعة التي ذكرت آنفًا، وفي هذا أفادنا إخوان الصّفا بمعلومات قيمة جدًا عن هذه المدن، التي عرض كُلّ واحدة منها أقل من اثنتي عشرة درجة مِمَّا يلي خط الاستواء، أولها مِمَّا يلي المَشرِق، وهي: بشمير وكوك من الهند، والطيب من السّــند، وحضرمــوت من اليمــن، ورعاه من

(٦٣) يُنظَر: الخطط، المَقريزيّ، ج١، ص٢٣.
(٦٤) يُنظَر: المُقَدِّمَة، ابن خلدون، ص٦٥.
(٦٥) يُنظَر: الرّسائل، مج ١، ص١٥٣.
(٦٦) التّنبيه والإشراف، مَصدَرٌ سَبَقَ ذكرهُ. ص٣٨.

الحبشة، وكوكو من الحبشة[٦٧].

أما الإشـارة إلى القارتين الأمريكتين الشّمالية والجنوبيـة، فـلا نجـد لهمـا ذكـرًا عنـد قدامى الجُغرَافيّيـن اليونانييـن والعَـرَب المُسـلِمين والبُلدَانييـن والرحالـة، فضـلًا عـن الفلاسـفة أفلاطون وأرسـطو والكنـديّ والفارابيّ إخوان الصّفا ومسـكويه وابن سـينا وابـن طفيل وابن رشد وابن خلدون، وغيرهم، ممن اهتم بموضوع أثـر المنـاخ والبيئـة في الإنسـان، فـي الأقاليم السّـبعة المـارّ ذكرها وبلدانها ومدنهـا، إذ إنهم لم يتناولوا بالدرس والبحث الإشـارة إلى هاتين القارتيـن، إذ يظنّون أن هاتين القارتين إنما تقع في أقصـى شـمال الأرض، وأن البحـر المُحيط أوقيانـوس (= الأطلسـي) لا توجـد وراءه أيـة عمارة أو سـكان أو أرض يابسة. وقد بنى هؤلاء الجُغرَافيّون والفلاسفة معلوماتهم على الرّحالة من البُلدَانيين، فلم يتحدثـوا عن مناخها وبيئتها ومدنها وسكانها وطباعهم وأخلاقهم، حتى جاء الرّحالة ابن ماجد الذي سبق كريستوفر كولمبس في رحلته إلى الأمريكتين، فاكتشفَ ما فيها[٦٨].

المطلب الرّابع- طبيعة الأقاليم السّبعة:

يقدم المَسـعُوديّ دراسة جيولوجيّة لطبيعة الأرض، إذ إنّهـا ((تتكـوّن مـن أربعـة جواهر: الرّملِ والطيـن والأحجار (=المعادن) والأملاح، ويتكون جوفُهـا من طبقاتٍ يتخللُهـا الماء، وما غلب عليـه الهواء من المـاء كان عذبًا، وما امتنع الهـواء من التّمكن منه غلبـت عليه أملاح الأرض صـار ملحًا أُجاجًا، ويشـبه تكويـن مياه العيون والأنهار في الأرض العروق في البدن))[٦٩].

ويـرى المَسـعُوديّ أن بقـاع الأرض تختلـف بحسب اختلاف ما تؤثره الأجسام السّماوية فيها، مـن النّيرين (= الشّـمس والقمـر) وغيرهما من الكواكب، بل يعدّ تأثيـر القمر في العالم الأرضي أبيَنَ منها لقربه منها، وبعدها عنه[٧٠]، حتى غلب هذا التّأثير طبع كُلّ أرض على سـاكنها، والأرض ذات الحجـارة السّـوداء النّخـرة والأغـوار يكون وحشُـها إلى السّـواد، بينما يكون وحـشُ الرّمال البيـض إلى البياض، وهكذا بقية ألوان التّربة من حمراء وغيرها. كمـا أن وحش الجبال تغلب عليه ألوان تلك الجبال[٧١].

يعضد المَسـعُوديّ رأيَه هـذا بإيرادِ آراء بعض الفلكييـن في زمانه وقبله، ممن يقـول: ((إنّ كُلّ جـزء من أجزاء الأرض يتأثر بشـكل مباشـر في جزءٍ جزءٍ من أجزاء الفلك، حتى يغلب عليها طباع ذلك الفلك، لأنَّ في أجزاء الفلك المضيء، والمظلم، والفصيح والأخـرس، وذي الصّـوت، والمجوف، وغيـر ذلك، مـن نعـوت، فلذلك يكـون كلام أهل

(٦٧) المَصدَرُ نَفسُهُ، مج ١، ص١٦٩-١٧٠.

(٦٨) يبـدو أن أبـا الرّيحـان البَيرُونِيّ قـد تنبه إلى وجود عمـارة وسـكان في الأمريكتـين، رادًا على قـول اليونانيين الذيـن صرحـوا بانقطـاع العمـران مـن جانبهـم ببحر أوقيانـوس (المُحيط الأطلسي)، فلما لـم يأتهم خبر إلا عن جزائر فيه غير بعيدة عن السّـاحل، ولم يتجاوز المخبرون عن الغرب ما يقـارب نصف الدّور، جعلوا العمارة في أحد الرّبعين الشّماليين، إلا أن آراء البَيرُونِيّ هذه تحققت بعده بأكثر من خمسة قرون، وذلك على إثر اكتشاف كريستوفر كولمبـس لأمريـكا، يُنظَـر: أبـو الرّيحـان البَيرُونِـيّ، عَليّ الشّحات، ص١٦٧.

(٦٩) التّنبيه والاشراف، ص٤١.

(٧٠) المَصدَرُ نَفسُهُ، ص٧٩.

(٧١) المَصدَرُ نَفسُهُ، ص٤٣.

الموضـع الواحد مختلفًا علـى قدر ما تصلح فيه السّـعود، وتفسـد فيه النّحوس، ثم يختلفُ أهل اللسان الواحد في المنطق واللهجات))[٧٢].

ولا ينحصـرُ هـذا التّأثيـر المباشـرُ للمناخ من حـرارة وبرودة أو اعتدال فحسـب، بـل نجد أن تأثير قـوى الأرض هو الآخر ظاهـرٌ في الأبدان بقوة، وهنا يصرح المَسعُوديّ، قائلًا: ((إنَّ تأثير قوى الأرضين في الإنسان تختلف لأسباب ثلاثة هـي: كمّيـة المياه التـي فيها، وكمّية الأشـجار، ومقدار ارتفـاع الأرض وانخفاضهـا، فالأرض كثيرة الميـاه ترطب الأبـدان، والمعدومة المياه تُجفّهـا، أمـا اختـلاف قـوة تأثيرهـا مـن قبـل الأشـجار، فـإن الأرضَ الكثيرة الأشـجار تكون أشـجارُها كالسـترة لها فتسببُ سـخونتَها، أما الأرضُ المعدومـة من الأشـجار فعلـى العكس، وأما اختـلافُ قوى الأرض من قبل مقدار علوها وانخفاضهـا، فـإن الأرض العاليـة المشـرفة تكون فسـيحة باردة، وتكون الأرض المنخفضة العميقة ومِدَة (= شدة حر الليل) حارة))[٧٣].

يضيف المَسعُوديّ أن البيئة والمناخ والأفلاك والبـروج لا تؤثـر وحدها في الإنسـان ، بل نجد النّبـات النّامـي وغيـر النّامـي يؤثـر كذلك في الإنسـان بشـكل مباشـر، وأثر هذا التّأثير هو ما نجـده فـي ((أرض التّرك من أثر فـي وجوههم وصغر أعينهم، حتى أثرت في جِمَالِهم، فقصرت قوائمها، وغلظت رقابها، وإبيض وبرُها، وأرض يأجوج ومأجوج في صورهم، وغير ذلك، مِمَّا إذا تبيَّنه ذوو المعرفة في سـكان المَشرِق والمَغرِب وجدوا على ما ذكرنا))[٧٤].

يربط المَسـعُوديّ هذا التّأثير المباشـر للبيئة والمنـاخ بتشـكل حظـوظ الإنسـان، وطرائـق تفكيـره، ومنطقه، ولسـانه ولهجاته، على وفق منهـج يفهم منه أن المَسـعُوديّ يؤمن بالحتمية الجُغرَافيّـة الطّبيعيـة بشـكل لا لبـسَ فيه، وهو بهذا يسـجل قصبَ السّـبق على ما صرّح به ابن خلـدون لاحقًا في هـذا المجال، ومَـن جاءَ بعده مـن الفلاسـفة الغربييـن المُحدثيـن مـن أمثال مونتسكيو.

إنّ هـذه المعطيـات والدراسـات التي قدمها الجُغرَافيّـون والبُلدَانيون على كافة المسـتويات المعرفيـة والعلميـة، تنم عن دقّـة ودرايَة علميّة بهـذه الأقاليم، ومدنها وقصباتهـا، وألوان أهلها ولغاتهـم، ومأكولاتهم وملبوسـاتهم، وأعمالهم وصنائعهم، وعاداتهم ودياناتهم وعباداتهم التي لا يشـبه بعضها بعضًا، وأنـواع المخلوقات فيها من الحيوانـات والمعـادن والنباتـات المختلفة في الشّـكل والطعم واللون والرائحـة، على وفق اختـلاف أهوية البُلـدَان، وتربة البقـاع، وعذوبة الميـاه وملوحتها، على مـا اقتضته طبائع كُلّ بلد من البروج والأفـلاك والكواكب على أفقها، وممر الكواكب على مُسامَتة البقاع من الأرض ومطارح شعاعاتها على المواضع[٧٥].

أما الفلاسـفةُ ولاسـيما إخوان الصّفا فنجدُهم يقدمـون لنـا رؤيتهـم الجُغرَافيّـة فـي البيئـة والمنـاخ، من منظـور يعتمد على البعـد التّأمّليّ الميتافيزيقـيّ لحركة الأفلاك والبروج وأثرها في الإنسـان، إذ قدموا تأملاتِهم الفَلسَـفيّة على وفق

(٧٢) المَصدَرُ نَفسُهُ، ص٤٣.

(٧٣) المَصدَرُ نَفسُهُ، ص٤٢.

(٧٤) كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر، مَصدَرٌ سَـبَقَ ذكرهُ، ج١، ص١٢٠.

(٧٥) يُنظَر: الخطط، المَقريزيّ، ج١، ص٢٣.

رؤيــة أنثربولوجيّــة طبيعيّة فلكيّــة ميتافيزيقيّة في خواصّ هــذه الأقاليم وطباع أهلها وأخلاقهم، فعقدوا صلــة بين العاملين الطّبيعي والفلكي من جهة، والعامــل الإلهــي الميتافيزيقي من أخرى، فأقروا بأثر ذلك كلــه في تنوع مناخ هذه الأقاليم وتنوع بيئاتهم، يقول إخوان الصّفا: ((إنَّ في كُلّ إقليم من هذه الأقاليم السّبعة ألوفًا من المدن تزيد وتنقــص، وفي كُلّ مدينة أممٌ مــن النّاس مختلفة ألسِــنتُهم وألوانُهم وطباعهــم وآدابهم ومذاهبهم وأعمالهم وصنائعهم وعاداتهم، لا يشــبه بعضهم بعضًــا، وهكذا حكم حيوانِهــا ومعادِنها، مختلفة الشّــكل والطعم واللون والرّائحة، وسببُ اختلافِ أهوية البلاد وتربة البقاع وعذوبة المياه وملوحتها، وكُلّ هــذا الاختــلاف بحســب طوالــع البــروج، ودرجاتها علــى آفاق تلك البلاد، بحســب ممرات الكواكب علــى مســامتات تلك البقــاع، ومطارح شعاعاتها من الآفاق على تلك المواضع))[٧٦].

نستنتج من هذا النّص المهم: أن أخوانَ الصّفا يميلون في تفســيراتهم هذه نحــو الميتافيزيقيًا، لبيان أسباب قيام الحضارات والعمران البشري، إذ إنهــم ربطوا ما ذكــروه آنفا بالأســباب الإلهية لحركة الأفــلاك ومطالع البروج، وهو ما يســمّى عند بعــض الباحثين بالتفســير الفلكــي لحركة التّاريخ وقيام الحضارة[٧٧].

يُؤمــن إخــوان الصّفــا بقــوة وقيمــة العامــل الميتافيزيقيّ وتأثيره في تفسير قيام الحضارات والمدن، فزيادة عدد المدن أو نقصانها إنما يكون بحسب التّأثيرات الموجبة أو السّالبة لدورة الفلك، فمثــلًا، إذا كانــت ((موجبــات أحــكام القِرانات، وأدوار الأفــلاك الأُلوف، الدّالة على قوة السّــعود، واعتدال الزّمان، واستواء طبيعة الأركان، ومجيء الأنبيــاء، وتواتــر الوحي، وكثــرة العُلَمَــاء، وعدل الملوك، وصــلاح أحــوال النّاس، ونــزول بركات السّــماء بالغيث))[٧٨]، ونجد هذا الأثر إيجابيًا في البيئة على وفق رأيهم، فبه تزكو الأرض والنبات، ويكثــر توالــد الحيــوان، وتعمــر البــلاد، ويكثر بنيــان المدن. أما إذ كانت هــذه القرانات للأفلاك السّــماوية بخــلاف ذلــك، أي تكون دالَّــة ((على قوة النّحوس، وفســاد الزّمان، وخروج المزاج عن الاعتدال، وانقطــاع الوحي، وقلــة العُلَمَاء، وموت الأخيار، وجور الملوك، وفساد أخلاق النّاس وسوء أعمالهم واختلاف آرائهم))[٧٩]. فيكون أثرها بالغ السّوء، إذ تمنع نزول البركات من السّماء بالغيث، فلا تزكو الأرض، ويجف النّبات، ويهلك الحيوان، وتخرب المدن في البلاد.

خاتمة- إنّ ما يميّز فلاسفتنا وجُغرَافيّينا العَرَب المُســلِمين في هذا المجال، أنَّهــم لم ينطلقوا من موقفٍ عِرقيّ ولا قوميّ ولا مذهبيّ منغلق، بل كان رائدهم الدّراســة العلميّة الدّقيقــة لمكونات هذه الشّــعوب وصفاتهم الخلقيّة وألوانهم وأثر البيئة والمنــاخ فيهــم، إذ لم يربطــوا كُلّ ذلــك بالعامل الحتمــي للبيئة من تربة ومياــه وأهوية والطّعام، والمنــاخ وأثرها في الإنســان، بل جعلــوا للعامل الفلكــي مكانتــه المميــزة على وفــق اعتقاداتهم ورؤاهم، فضلًا عن العامل الميتافيزيقي، وهذا ما يشــكل صِفَة عامة لهم، وإن كان بعض فلاسفتنا مثــل إخــوان الصّفــا الذّين مالــوا نحو التّفســير الماورائــي للبيئــة والمنــاخ، والبعــض الآخر من فلاســفتنا الذّين أعطوا دورًا للإمكانية الجُغرَافيّة في المناخ والبيئة.

(٧٦) يُنظَر: الرّسائل، مج ١، ص١٥٥-١٥٦.

(٧٧) يُنظَر: فلســفة التّاريخ والحضارة في الفكر العربي، عَليّ حسين الجابري، ص١١٦ وما بعدها.

(٧٨) يُنظَر: الرّسائل، مج ١، ص١٥٥.

(٧٩) المَصدَرُ نَفسُهُ، مج ١، ١٥٥.

المَصَادِر والمَراجِع

- آمـال صالـح الكعبي، الجُغرَافيّـا الطّبية، ط١، مؤسسة السّياب، لندن ٢٠١٢.
- ابـن الجـوزي، جمـال الدّيـن أبـي الفـرج (ت٥٩٧هـ)، مناقـب بَغدَاد، تحقيق مُحَمَّد بهجة الأثـري، مطبعة المجمع العلمـي العراقي، بَغدَاد ١٣٤٢هـ.
- ابـن خلدون، عبد الرّحمن بـن محمد، المُقَدِّمَة، ط١، دار العودة، بيروت،١٩٨١.
- ابـن رسـتة، الأعـلاق النّفيسـة، تحقيـق خليل المنصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٩٨.
- ابن سـعيد المغربـي، نور الدين أبو الحسـن، كتاب بسط الأرض في الطّول والعرض المعروف بكتـاب الجغرافية، تحقيق خوان قرنيط خينيس، ط١، تطوان، ١٩٥٨.
- ابن الطّيب البَغدَادي، أبو الفرج، الشّرح الكبير لمقولات أرسـطو، دراسة وتحقيق د. عَليّ حسين الجابـري وفضيلـة عبـاس مطلق وعبـد الكريم سلمان، بيت الحكمة، بَغدَاد، ٢٠٠٢.
- ابـن النّديـم، أبي الفرج محمد بـن أبي يعقوب إسـحاق، الفهرسـت، تحقيق رضا تجدد، طهران ١٩٦٦.
- أبقـراط، الطّبيـب اليونانـي (ت ٣٧٠ ق، م) ، كتـاب الأهوية والمياه والبُلدَان، أخرجه إلى اللغة العربية شـبلي شميل، مطبعة المقتطف، القاهرة ١٨٨٥.
- إخـوان الصّفـا وخـلان الوفا، الرّسـائل، أربعة أجزاء، ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٩.
- بيار جـورج: مُعجَم المصطلحـات الجُغرَافيّة، ترجمة مُحَمَّد الطّفيلي، ط٢، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت، ٢٠٠٢.
- الجابري، الدّكتور عَليّ حسـين: فلسفة التّاريخ والحضـارة في الفكر العَرَبـيّ، ط١، اربد، الأردن ٢٠٠٥.
- حسين طه نجم وزملاؤه، البيئة والإنسان، ط٣، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨٤.
- الخوارزمـي الكاتـب، مفاتيـح العلوم، نشـرة المطبعة المنيرية، القاهرة، (ب، ت).
- زكـي مُحَمَّـد حسـن، الرّحالـة المُسـلِمون في العصور الوسـطى، دار الرّائد العَرَبـيّ، بيروت ، ١٩٨١.
- السّـامرائي، أحمَد عبد الباقي: من أعلام العُلَمَاء العَرَب في القـرن الرّابع الهِجـريّ، ط١، بَغدَاد ، ٢٠٠٣.
- السّـامرائي، الدّكتـور كمـال: مختصـر تاريخ الطّب العَرَبيّ، ط١، بَغدَاد، ١٩٨٤.
- حمد أحمَد السّـامرائي، موسوعة المصطلحات العلمية في الجُغرَافيّا السّياسـية والجيوبوليتيك، ط١، الذّاكرة للنشر والتوزيع، بَغدَاد، ٢٠١٢.
- سهراب، كتاب عجائب الأقاليم السّبعة إلى نهاية العمارة، تحقيق هانس فون مزيك، فينا، ١٩٢٩.
- شـاكر خصبـاك وزميلـه: الفكـر الجُغرَافـيّ، تطـوره وطـرق بحثـه، مطبعـة جامعة بَغـدَاد، بَغدَاد، ١٩٨٢.

- شـاكر خصبـاك، كتابـات مضيئة فـي التّرَاث الجُغرَافـيّ العَرَبيّ، مطبعة دار السّـلام، بَغدَاد ، ١٩٧٩
- الشّـحات، عَلـيّ أحمد، أبو الرّيحـان البَيرُونِيّ، حياتـه، مُؤَلّفاتـه، أبحاثـه العلمية، ط١، منشـأة المعارف، القاهرة، ١٩٦٨.
- طه باقر، الدكتور، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط١، بَغدَاد،١٩٥١.
- عبد الجبار ناجي، جهود العَرَب المُسـلِمين في علم الجُغرَافيّا، بيت الحكمة، بَغدَاد،٢٠٠٠.
- عبـد خليل فضيـل، وزميله: الفكـر الجُغرَافيّ، مطبعة بيت الحكمة، الموصل،١٩٩٠.
- عبد الفتاح إبراهيم، دراسات في الاجتماع، ط١، مكتبة العاني، بَغدَاد،١٩٥٠.
- القفطـي، جمـال الدّيـن أبي الحسـن علي بن يوسـف، تاريخ العُلَمَاء بتاريـخ الحكماء، تحقيق يوليوس ليبرت، ط١، ليبزج،١٩٠٣.
- الكـروي، الدّكتـور إبراهيـم وزميلـه: المرجع في الحضـارة العَرَبيّة الإسـلاميّة، ط٢، الكويت، ١٩٨٧.
- ماهر عبد القادر، حنين بن اسحق، العصر الذّهبي للترجمة، دار النّهضة العَرَبيّة، بيروت (د، ت).
- مجيد عارف، الدّكتور: شعوب وثقافات، مطبعة جامعة بغداد، ط١، بَغدَاد،١٩٩٣.
- المَسعُوديّ، أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذّهب ومعادن الجوهر، ط١، تحقيق محي الدّين عبد الحميد، دار الأنوار، بيروت، (د. ت).
- المَسعُوديّ، أبو الحسن علي بن الحسين، أخبار الزّمان ومن أباده الحدثان، ط٢، النّجف الأشرف ١٩٦٦.
- المقدسـي، شـمس الدّيـن أبـي بكر، أحسـن التّقاسـيم في معرفة الأقاليم، تحقيق مُحَمَّد أمين الضّناوي، دار الكتب العلمية بيروت، ٢٠٠٣.
- المَقريزيّ، تقي الدّيـن أحمد بن علي، المواعظ والاعتبـار في ذكر الخطط والآثـار، تحقيق فؤاد أين السيد، ط٢، لبنان، ٢٠١٣.
- الميـاح، عبـد الرّحمـن رشـك، أوربـا في كتب البُلدَانيين العَرَب المُسلِمين، دار الشّؤون الثّقافية العامة، بَغدَاد، ٢٠٠٨